# عندما تصبح الحياة
# صلاةً

طبعة أولى

٢٠١٦

*

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب : ١٢٥
هاتف : ٠٩/٩١٢٥٩٣ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – ٠٣/٣٥٧ ٣٥٣ – فاكس : ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف : ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس : ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مُقابل مُطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس : ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة
صفحات روحيّة
٦٥

# عندما تصبح الحياة صلاةً

تأليف
**ميشيل كواست**

ترجمة
**أديب مصلح**

**٢٠١٦**

# تمهيد

وُلِد ميشيل كواست في منطقة «هاڤر» الفرنسيّة، عام ١٩١٨، وفقد والده في سنّ الرابعة عشرة، فاقتحم معترك العمل منذ صباه، وانتسب إلى حركة الشبيبة العاملة الكاثوليكيّة. ثمّ انضوى إلى إكليريكيّة، وسيم كاهنًا عام ١٩٤٧.

نال إجازةً في العلوم الاجتماعيّة، ثمّ دكتورا من السوربون، وكُلِّلَت أُطروحته التي أَطلق عليها عنوان «المدينة والإنسان» بجائزةٍ أكّاديميّة. وجديرٌ بالتنويه أنّه ابتكر طريقةً للتحقيق العلميّ غدت نموذجًا، ونَهْج عملٍ للباحثين.

اضطلع بمهمّة كاهن رعيّة، ومرشدٍ للشبيبة، مستخدمًا الكتابة دعمًا لرسالته. وفي عام ١٩٥٤، إذ كان ما زال كاهنًا شابًّا، في الثالثة والثلاثين من سنيه، أَصدر كتاب «صلوات»، الذي لاقى رواجًا منقطع النظير، إذ تُرجم إلى أكثر من ثلاثين لغةً، وبيع منه ما يفوق مليونًا وخمس مئة ألف نسخة، خلال فترةٍ وجيزةٍ، وكانت مؤلّفاته، عمومًا، من أكثر المؤلّفات انتشارًا عالميًّا، في العقود الأخيرة.

عام ١٩٩٦ اكتُشِف لديه سرطان في البنكرياس، ولكنّه رفض الخضوع للمعالجة الكيميائيّة، خشية أن تعيقه عن مواصلة الكتابة، وتوفّي في نهاية عام ١٩٩٧.

كان ميشيل كواست «سامريًّا رحيمًا» تستوقفه آلام البشر وهمومهم،

فيروز ثقلها، ويستجلي أسبابها، ويستقري أصداءها وعواقبها، ويلتمس لها العلاج، والوقاية، ويرفعها بقلبه إلى «السامريّ» الإلهيّ صلاةً حارّةً، مودعًا إيّاها في أتون حبّه الجمّ.

ذرع دروب الأرض محدّقًا إلى وجوه البشر، متعاطفًا مع كلٍّ منها، متفاعلاً معها في خلجات قلبه، وتضاعيف فكره. كلّ حدثٍ كان يستدعي اهتمامه، وكلّ إنسانٍ يجتذب محبّته، فلا يمرّ غير مبالٍ بأيّ كائنٍ وأيّ شيءٍ.

كلّ مشهدٍ من مشاهد مآسي البشر وأفراحهم، وكلّ اعوجاجٍ في الجسم الاجتماعيّ، وكلّ مشهدٍ من روائع الكون، ينقلب لديه موضع تأمّلٍ سحيقٍ، وإلهامًا يتفجّر صلاةً.

خطوةً خطوةً، مضى مستجليًا، في حياته اليوميّة، مشيئة الله فيه، وفي البشريّة التي ينتمي إليها، معلنًا: «أُحبّ الإنسان، وأتألّم حيال كلّ ما يشوّهه... أُحبّ العالم، ومع جميع إخوتي، أفخر برؤيته يُبنى، مكتسبًا، أكثر فأكثر جمالاً، وأبتغي الإسهام في هذا البناء بكلّ طاقاتي».

بلسان الخليقة وبأفئدة إخوته المتألّمين صلّى ميشيل كواست الذي كان شاهدًا لعصره، متدفّقًا هوًى، وكان شاهدًا ليسوع الذي دوّن سرّ حبّه في سجلّ الزمن، وفي مصائر الناس اليوميّة.

وكان قد باح، في مقدّمة أحد مؤلّفاته: «مهنتي أن أحيا وأرقب الآخرين يحيون، وأن أُعمل الفكر في ذاتي، وأتأمّل مسيرة الآخرين الروحيّة، ثمّ أن أُحاول التعبير عمّا اكتشفته، وعمّا هم اكتشفوه في حياتهم».

العديد من مؤلّفاته لبس حلّة الصلاة، وازدان بعنوانها، وفي غروب القرن المنصرم، جُمعت مختاراتٌ من هذه المؤلّفات، في كُتيِّبٍ حمل عنوان: «عندما تضحي الحياة صلاةً».

وإلى جانب هذه الصلوات، صدرت مجموعة أُخرى تضمّ مختارات من مقالات للأب ميشيل كواست تنطوي على خواطر وتأمّلاتٍ اجتماعيّةٍ ونفسيّةٍ، وعلى نصائح سلوكيّةٍ مستوحاةٍ من مشاهد الحياة ومآسيها، ومن تعاليم عظة الجبل، فانتقيت منها ما عددتُه أجملها.

ويسعدني بعد أن تسنّى لي شرف ترجمة كتابه الشهير «حدّثني عن الحبّ»[1]، أن أُقدّم ترجمةً لهاتين المجموعتين، مضيفًا إليهما ما انتقيته بنفسي من مؤلّفاته، راجيًا أن تسرّب هذه المجموعة الجديدة إلى نفوس قرّائها رعشة الدهشة، وأسمى المشاعر الإنسانيّة، وتدفع إلى التفاتةٍ نحو السماء، وغطسًا في أعماق الوجدان، وتساعدنا على تحويل كلّ لحظةٍ من وجودنا صلاةً.

(١) صدرت لهذه الترجمة طبعتان في دمشق (١٩٩٨ و ٢٠٠٠)، وطبعة ثالثة في المطبعة البوليسيّة بجونيه (لبنان).

# (١)

# صلوات

# المجد لك يا إلهي

نمجّدك يا اللّه،

من أجل الطفل الذي يتعلّم المشي فيفلت من يد أُمّه، ويسقط، وينهض،

ويستأنف مغامرته.

ومن أجل الولد الذي يمتطي درّاجةً، ويحاول السير بها وهو غير قابضٍ على المقود، ويكرّر المحاولة عشرين مرّةً قبل أن ينجح.

ومن أجل الفتى المراهق الدائب على واجب الرياضيّات، متشبّثًا، ملحًّا، حريصًا على حلّه بمفرده.

المجد لك يا اللّه،

من أجل الرياضيّين الذين يتمرّنون، كلّ يومٍ، على تنمية سرعة جريهم، ومسافة قفزتهم وعلوّها، بغية تحطيم الرقم القياسيّ.

ومن أجل الفنّانين الذين يصارعون الحجر والخشب، والألوان والألحان، بغيةَ ابتداع تحفٍ فاتنةٍ.

ومن أجل الباحثين الذين يدرسون في الظلّ، ويجرّبون، سعيًا إلى اختراق أسرار العالم الذي نسكنه جميعًا.

المجد لك، يا اللّه،

من أجل عمّال المناجم الذين ينتزعون من التربة المعادن،

ومن أجل الذين يصهرونها، والذين يصنعون منها الأدوات والآلات،

من أجل المعماريّين، ومن أجل كتائب البنّائين الذين يشيّدون المنازل والكاتدرائيّات والمدن،

من أجل العلماء، والمهندسين والتقنيّين، وحشود العمّال اليدويّين والفكريّين الذين يسيطرون بتؤدةٍ على الأرض، ويروّضون الحياة،

من أجل جميع الذين يجاهدون في سبيل تنمية الإنسان والشعوب، وبناء عالم عدلٍ وسلامٍ

المجد لك يا إلهي،

من أجل الإنسان الذي ما انفكّ يرتقي، بتؤدةٍ، خلال مساحة الزمن الشاسعة، مذ ابتدعتَه من صلصالٍ، وأردتَه واقفًا،

ومنذ أردتَه قبس نورٍ مشعًّا في جسدٍ، مفكّرًا، محبًّا، مسهمًا في خلق ذاته،

ومنذ أودعتَ الكون بين يديه اللتين أكملتا تحرّرهما، لكي يمتلكه، وينظّمه، ويحوّله.

المجد لك، يا إلهي،

من أجل هذا الصعود البشريّ،

ومن أجل الفرح الذي يغمرنا عندما نشهد نموّنا،

ومن أجل تواضعك، أنت، الذي يمّحي أمامنا، عوضًا عن الحلول مكاننا،

ومن أجل صبرك حيال تخاذلنا، وأخطائنا، وكبواتنا،

والمجد لك، يا إلهي، أخيرًا،

لأنّك خلقتَ الإنسان حرًّا،

جديرًا بملاقاتك، وقادرًا على معرفتك، ومحبّتك،

لأنّك لم تعدّ انحطاطًا،

صيرورتَك إنسانًا،

في ابنك يسوع،

ولأنّنا، من خلاله، إذا شئنا،

نستطيع معه أن ندعوه أبانا،

ونأتي إليك،

ونحيا في حبّك،

وفي فرحك الأبديّ.

# في الصلاة نقول للّٰه:

ألتمس منك الماء الحيّ، الجاري بين ضفاف يومي،
فلولاك لغدوتُ ماءً آسنًا، يتعفّن ويموت.
أيّها **الشمس**، ألتمس منك النور، الذي يضيء درب يومي.
فلولاك لما كنتُ سوى ابن ليلٍ، تائهٍ على دربٍ مسدود المنافذ.
أيّها **الريح**، منك ألتمس، القوّة الكفيلة بنفخ أشرعتي المنتظِرة.
فلولاك لما كنتُ إلاّ مركبًا مهجورًا، لا يتخطّى أبدًا أرصفة المرفأ.
أيّها **النسيم**، ألتمس منك دفعًا كي أنطلق،
فلولاك لما كنتُ سوى عصفورٍ ملطّخ الريش، يزحف في الوحل،
ومنك، أيّها **الصنّاع**، أنتظر أن تفجّر من خشبي ومن أوتاري، حياةً مغمورةً بسرٍّ قدسيٍّ.
فلولاك، لما كنتُ إلاّ أداةً لا نفع منها، ملقاةً، جامدةً، خرساء في غمد أيّامي.
ولكنّني، إليك آتي، وهاءنذا، أيّها الفنّان، الذي لا يُحيط به وصفٌ،
ومثل كمانٍ لاطٍ بين ذراعيك العاشقتين، أَمثُل خاشعًا، حرًّا، تحت أناملك الباحثة عنّي،
وأُقدّم ذاتي كي تقترن بي بعناق حبٍّ، وسيكون بيننا **موسيقى**، ينشدها العالم.

# صلاة مع عمّال الليل

يا ربّ، قد تقدّم الوقت، وأنا راغبٌ في النوم، وأحتاج إلى النوم.
ولكنّي، في هذا المساء، يجول بخاطري العاملون ليلاً، ذلك الحشد من الذين يعملون،
كي يصنعوا لنا ما يلزمنا للعيش،
فيما نحن مستسلمون للكرى.
لطالما صدفتُ، على دربي، حافلات العمّال، **تلمّ** في أحياء المدن، وفي الأرياف النائية،
اليد العاملةَ الخاضعةَ لمقتضيات المصانع،
تلك المؤقّتات التي لا ترحم، والتي تنظّم رقصاتٍ لا هدنة فيها،
وعلى أنغامها تنتظم حياة جيوشٍ من العمّال.
التقيتُ رجالاً غدت أجسامهم وأعصابهم المرهقة،
عاجزةً عن التلاؤم مع هذا الإيقاع،
وباتوا يجرجرون حياةً محطّمةً، لا يقوى أحدٌ ولا شيءٌ على ترميمها.
وعرفتُ أُسَرًا منهارةً، حيث لا يتواصل الزوج والزوجة،
إلاّ عبر كلماتٍ مخربشةٍ، ملقيّةٍ على مائدة المطبخ.
ولعبتُ، بصوتٍ خافتٍ، مع أولادٍ، حُكم عليهم بالصمت، نهارًا، لأنّ الوالد ينال قسطه من النوم.
أنا لا أفهم، يا ربّ، ألمْ تخترع الليل للنوم؟

فعندما تبدأ شمسك بغروبٍ هادئٍ، مطفئةً نورها، إنّما هي تدعو إلى الراحة!

ولكنّ البشر اخترعوا العمل الليليّ، ونوم النهار، وأضاءوا مصابيح النيون،

وأغلقوا الستائر الخشبيّة، لكي يوهموا أنّ الليل هو النهار، وأنّ النهار هو الليل.

يزعمون أنّ تلبية مقتضيات العالم الحديث، تستلزم حتمًا تطويع الطبيعة،

ويزعمون أنّ الاقتصاد يتبوّأ المرتبة الأولى، وأنّه يحكم ولا بدّ من إطاعته،

ومن خدمة الآلة، أثناء النهار وآناء الليل.

ويُقال أخيرًا، إنّهم، هنا وهناك:

عاكفون على دراسة شروط عملٍ جديدةٍ، تحاول إعادة أَنسنة ما جرّدوه من إنسانيّته.

ولكنّك أنت، يا ربّ، عالمٌ بمرمى هذه المحاولة الحقيقيّ: تحسين الأداء، وإنماء الإنتاج.

ويبقى الإنسان عبدًا، ويستمرّ الألم، الألم الجسيم، والصيحات، والآهات التي لا تلبث أن تُكتَم وتُخنَق،

وتبقى تلك العادة التي تجعلنا نُقلع عن التفكير في هذا الأمر، كلّما هممنا بالرقاد.

فلطالما كان الأمر على هذه الحال، ولابدّ من استمراره.

ولكنّي، في هذا المساء، أَسمع، يا ربّ، هذه الجلَبة الجسيمة،

وقبل أن أُغمض جفنيّ، مستسلمًا، أودّ أن أُقدّم لك،

لا هذه الآلام الجائرة، فأنت تدينها، بل هذا الفيض من الجهود التي تفرضها، هي، على البشر،

وهذا السخاء الرائع، الذي تقتضيه كلَّ يوم.

فعلامَ ينهض أولئك العمّال الليليّون؟ أَليس من أجل كسب خبز زوجاتهم وأبنائهم؟

وحتّى إذا كان دافع بعضٍ منهم، هو جاذب مُتَعٍ

يعدّها الأغنياء نافلةً، فدافع الآخرين هو نشيد حبٍّ مدهشٍ،

يصدح كلّ ليلةٍ، فيما نحن نيامٌ.

ولكن، هل ينتهي إليك هذا النشيد، يا ربّ؟

فمن دواعي الأسف، كثيرون من بني البشر، لا يدرون لمن تُنشد حياتهم، في ما يتخطّى، بلا قياسٍ،

حبّهم الأرضيّ.

فأَنصِت، يا ربّ، أتوسّل إليك، كي لا تُهدَر سدًى كلّ تلك الجهود، وكلّ تلك المشقّات،

وكلّ الحبّ المُعاش.

اغفر لي، يا ربّ، فعلامَ يساورني فيك الشكّ، وعلامَ لا أومن أنّ هذا النشيد الليليّ

ربّما يفوق، في صعوده نحوك، أناشيدنا السهلة، التي نطلقها في جماعاتنا الدافئة،

فهي تفوق كلماتنا الودّيّة، إنّها كلمات حياةٍ مضمّخةٍ بدماء الجهد.

اغفر لي، يا ربّ، لأنّي شككت بك وبهم، في حين تمتزج بهذه الجوقة الليليّة،

أصواتٌ فائقة الصفاء، أصوات رجالٍ ونساءٍ، يستفيقون قبل النهار،

إنّهم ساهرو الليل الطوعيّون، الذين يُنشدون مدائحك، في خفية أديارهم.

ولكنّني، يا ربّ، لستُ الوحيد، ولا أستطيع أن أكون وحيدًا، فأنا جمهورٌ، يا ربّ،

جمهور منشدي حبٍّ طاهرٍ، سفراء الإنسانيّة، الذين يواكبون جموع العمّال الليليّين،

الذين سُدَّت أفواههم، وربّما أُوصدت قلوبهم.

أظنّ، يا ربّ، أظنّ..... ولكن قُل لي، في هذا المساء، هل أنت تسمعهم جميعًا؟

ويقول الربّ: أجل، يا صغيري، أسمعهم، فكلّ إنسانٍ هو أخي، ولو لم يعلم ذلك.

كلّ نشيد حبٍّ يصعد من الأرض، ينتهي إليّ.

وأنا أستقبلها جميعها، حتّى النغمات الناشزة، وأرفعها للآب، مدائح لانهائيّةً.

# بين يديك، يا ربّ

حسبي أن أمثل بين يديك،
مغمضًا عينيْ جسدي، ومغمضًا عيني روحي.
ثابتًا، صامتًا، مقدّمًا لك ذاتي، أنت يا من يقدّم لي ذاته،
حاضرًا بين يديك، أيّها الحاضر اللانهائيّ.
إنّي أرتضي الحرمان من كلّ إحساسٍ، ومن كلّ رؤيةٍ، ومن كلّ سماعٍ، والتخلّي عن كلّ خاطرةٍ،
وكلّ صورةٍ، والغرق في ليلٍ دامسٍ.
ها أنذا أُنشد لقاءك بلا عائقٍ،
في صمت الإيمان، أمامك، يا ربّ.
ولكنّني لست وحيدًا، يا ربّ،
ولا أقوى على أن أكون وحيدًا.
فأنا جمهورٌ، يا ربّ، يسكنني الناس،
الذين التقيتُهم، فتوغّلوا إلى داخلي،
واستقرّوا، وشغلوني، وأكلوني.
وقد أفسحت لهم فرصةً، يا ربّ،

كي يتغذّوا، وكي يستريحوا.

وإنّي آتيك بهم، إذ أُقدّم لك ذاتي.

وأُودعهم بين يديك، إذ أُودع ذاتي بين يديك،

فها أنذا،

وها هم، أمامك، يا ربّ.

# اللَّبِنة

كان البنّاء يضع اللَّبِنة على سريرٍ من إسمنتٍ،
بحركةٍ دقيقةٍ من مِسَجَّته،
ثمّ يغلّفها بغطاءٍ، وبلا استئذانٍ يُرقد فوقها لَبِنةً أُخرى،
وكانت المداميك تتصاعد سراعًا،
كي يرتقي البيت عاليًا ومنيعًا،
ويؤوي البشر.
يا ربّ، لقد أعملتُ الفكر بهذه اللبِنة المسكينة
المدفونة في ظلمة أقدام الصرح الكبير،
لا أحد يراها، ولكنّها تضطلع بعملها،
والأُخريات يحتجنَ إليها،
سيّان، يا ربّ، أن أُقيم في قمّة البيت،
أو في أساسه،
على أن أكون وفيًّا،
ملتزمًا مكاني من بنائك.

# نسبّحك، أيّها الآب

نسبّحك، أيّها الآب، من أجل البحر، والسماء والنجوم.
ونسبّحك من أجل الطاقة المختلجة في الذرّة،
ومن أجل النفط المتفجّر من الأرض،
من أجل الصاروخ المنطلق،
ومن أجل المراكب الفضائيّة التي تحطّ على الكواكب.
نسبّحك، من أجل العلم والتقنية،
نسبّحك من أجل المادّة جمعاء التي أبدعتها،
تلك المادّة التي تبدو لنا جامدةً،
ولكنّها مادّةٌ حيّةٌ متحوّلةٌ،
فهي المكان المدهش حيث يلتقي العمل الإلهيّ والنشاط البشريّ،
نسبّحك، يا ربّ، من أجل الفنّانين والتقنيّين والعلماء، والعمّال الذين يعالجون المادّة، ويعجنونها ويحوّلونها.
نسبّحك من أجل مخطّط حبّك الجمّ الذي يرشد كثرين إلى هذه المسيرة الرائعة التي تدفع الكون كلّه إلى الأمام.
نسبّحك من أجل ابنك الذي به كان كلّ شيءٍ، والذي لا وجود لشيءٍ بمعزلٍ عنه،

به، لا تكفّ، أنت، تبدع هذه الخيرات كلّها، وتقدّسها، وتحييها، وتباركها وتهبناها.

به ومعه وفيه، أيّها الله الآب، كلّيّ القدرة،

وبالاتّحاد مع الروح القدس،

نعيد لك كلّ مجدٍ وكلّ تكريمٍ، في سكون المساء الذي يمنح الأشياء قلب أبناءٍ،

من أجل تمجيد الخالق،

أودّ أن أكون الولد الذي يضجّ فرحًا أمام أبيه الذي يبتسم لي، أنا طفله.

# أودّ أن أرتقي إلى الأعلى

يا ربّ، أودّ أن أرتقي عاليًا جدًّا، فوق مدينتي، فوق العالم، فوق الزمن،
أن أُطهّر نظري، مستعيرًا عينيْك.
وحينئذٍ سأرى الكون، والبشريّة والتاريخ، كما يراها الآب،
وسأرى تحوّل المادّة المدهش، في جيَشان الحياة المتواصل،
وسأرى جسدك الكبير الذي يولد بفعل نفحة الروح القدس،
وسأشهد خاطرة حبّ أبيك الجميلة الأبديّة، تتحقّق شيئًا فشيئًا:
أي إجمال كلّ أمور السماء وكلّ أمور الأرض فيك.

وسأتبيّن أنّ أدنى التفاصيل تسهم في هذا الحدث، اليوم، كما في الأمس.
ويسهم فيه كلّ إنسانٍ في موقعه، وكلّ جماعةٍ، وكلّ غرضٍ...
والطفل الذي يرى النور، والشيخ الذي يودّع الحياة،
وكلّ ذرّة مادّةٍ، وأدنى خلجة حياةٍ، الحبّ والكراهية، الخطيئة والنعمة.

وسأدرك، بذهولٍ، اندراج مجازفة الحبّ الكبرى أمامي،
تلك المجازفة التي بدأت في فجر العالم،

والتاريخ المقدّس الذي لن ينتهي إلاّ في المجد، تنفيذًا للوعد،
بعد قيامة الجسد، عندما ستمثل أمام الآب قائلاً:
«لقد تمّ. أنا الألف والياء، البدء والنهاية».
وسأُدرك تماسك كلّ شيءٍ، وانطلاق كلّ شيءٍ،
في مسيرةٍ واحدةٍ، دافعةً البشريّة جمعاء، والكون كلّه،
نحو الثالوث فيك وبك، يا ربّ.

وسأُدرك أنّ لا شيء هو دنيويٌّ، من بين الأشياء والأشخاص، والأحداث،
بل أنّ كلّ شيءٍ منذ البدء، قدّسه الله،
وأنّ على الإنسان المؤلّه أن يقدّس كلّ شيءٍ.
وسأدرك أنّ حياتي، تلك النسمة اللامحسوسة، في هذا الجسد الكلّيّ،
هي كنزٌ لا غنى عنه في مشروع الآب.
وحينئذٍ سأركع يا ربّ، وسأتأمّل مدهوشًا، سرّ هذا العالم،
الذي يتحدّى إخفاقات الخطيئة المريعة،
ويبقى خلجة حبٍّ طويلةً، ناشدةً الحبّ الأبديّ.

أودّ أن أرتقي عاليًا، يا ربّ،
فوق مدينتي، وفوق العالم، وفوق الزمن، وأن أُطهّر نظري، مستعيرًا عينيك.

# أُمّي هي أجمل اختراعاتي

«أُمّي هي أجمل اختراعاتي»، يقول اللّه.
كنت أفتقر إلى أُمٍّ، فصنعتُها،
صنعتُ أُمّي قبل أن تصنعني،
فذلك أَضمن.
وها أنذا إنسانٌ حقٌّ، نظير جميع البشر،
ولم يعُدْ لديّ ما أحسدهم عليه،
فقد أمست لي أُمٌّ، أُمٌّ حقيقيّةٌ،
كنت أفتقر إليها.

اسم أمّي: مريم، يقول اللّه،
نفسها طاهرةٌ طهرًا مطلقًا، ومفعمةٌ نعمةً،
وجسدها طاهرٌ،
جسد عذراء يقطنه نورٌ من السنى بحيث لم أَكلَّ، أبدًا، آن وجودي على الأرض،
من التحديق إليها، والإصغاء إليها، والإعجاب بها.

جميلةٌ هي أُمّي، ومن الجمال بحيث إنّني، بعد أن نأيت عن روائع السماء،

لم أجد نفسي، وأنا بالقرب منها، في غربةٍ،
ومع أنّي أَلِفتُ، يقول الله،
أن أُحمَل على أيدي الملائكة،
لكن، صدّقوني، هذا لا يساوي ذراعيْ أُمّي.

لقد ماتت أُمّي، يقول الله.
مُذْ صعدتُ، عائدًا إلى السماء، تُقْتُ إليها،
وتاقت هي إليّ.
وقد التحقت بي، بنفسها، وبجسدها، مباشرةً.
ولم يكن بوسعي أن أفعل غير ذلك. كان ذلك واجبًا،
وأوفر لياقةً.
فلا يسوغ أن تتجمّد الأنامل التي لمست الله،
أو أن تظلّ مُطْبَقَتيْن العينان اللتان تأمّلتا الله،
ولا أن تتيبّس الشفتان اللتان قبّلتا الله.
ما كان ممكنًا أن يتفسّخ، ويمتزج بالتراب،
ذلك الجسد، فائق الطهر، الذي وهب الله جسدًا.
لم أقوَ على القبول بذلك، فقد كان مستحيلاً،
وكان من شأنه أن يؤلمني أَلَمًا بالغًا.
فمع أنّي الله، إلاّ أنّني ابنها،

وأنا من يأمر.
ثمّ إنّي فعلتُ ذلك، يقول اللّه،
من أجل إخوتي البشر،
كي تكون لهم أُمٌّ في السماء،
أُمٌّ حقيقيّةٌ، أُمٌّ منهم، جسدًا وروحًا،
أُمّي.
والآن ما عليهم سوى الإمعان في الصلاة، يقول اللّه،
فلهم، في السماء، والدةٌ ترعاهم بأنظارها، بعينيْها الجسديّتيْن.
لهم أُمٌّ، في السماء، تحبّهم بملء قلبها،
قلبٍ من لحمٍ ودمٍ.
وهذه الأمّ هي أُمّي،
التي حدّقت إليّ، بتَيْنك العينين نفسيهما،
والتي أحبّتني بذلك القلب عينه.
ولو كان البشر أشدّ مكرًا،
لاستغلّوا ذلك، فهم واثقون أنّني لا أقوى على رفض طلبٍ لها.
ما لي، في ذلك، حيلةٌ، فهي أُمّي،
وأنا الذي أردتُها، فلستُ أشكو.
إنّنا وجهًا لوجهٍ، جسدًا وروحًا، أُمًّا وابنًا،
إلى الأبد، أُمًّا وابنًا.

# أستغفرك، يا ربّ

غفرانك، يا ربّ، لأنّني شوّهتُ وجهك، مثلما يطلو المخرِّبون الهمجيّون التحَف الفنّيّة الرائعة بالجبس، وبالألوان البشعة.

غفرانك لأنّني جعلتُ منك «موضع نقاش»، ولكأنّ الإيمان هو ثمرة برهانٍ ودليلٍ.

غفرانك لأنّني جعلت منك «سلاحًا روحانيًّا»، لمحاربة «المادّيّة»، ولكأنّ خلاص البشريّة «مشروعٌ» لا «سرٌّ»، سرُّ يسوع الذي مات وقام.

وعندما أَدركت، أخيرًا، أنّك شخصٌ قريبٌ، أستغفرك أيضًا، يا ربّ، لأنّني غالبًا ما صنعتُ منك:

ذاك الذي جاء كي «يسدّد دينًا»، ومن ينبغي اتّباع وصاياه بغيةَ الحصول على تقدير الناس، ونيل مكافأةٍ أبديّةٍ،

من يمتلك قدرةً فائقةً، ويجب أن أنتزع منه أكبر قسطٍ من الامتيازات، بالصلاة.

لقد غرب عن خاطري، يا ربّ، الموقف البدائيّ، الجوهريّ، الذي كلّ ما سواه لا يساوي شيئًا، أو إنّه، على كلّ حالٍ، يصبح كاريكاتوريًّا مريعًا،

غرب عن بالي، يا الله، أنّك أبٌ، لا حدود لحبّه، وأنّك، منذ

الأزل، تتطلّع إلى أن تجعل منّي ابنك،
غرب عن بالي، يا اللّه، أنّك الحبّ،
وأنّ الحبّ جاء إلينا،
ونسيت، يا اللّه، أن أستسلم لحبّك.

# يا ربّ، لمَ طلبت منّي أن أُحبّ؟

لمَ، يا ربّ، طلبتَ منّي أن أُحبّ جميع إخوتي البشر؟

وقد حاولتُ تلبية رغبتك، وها أنذا أعود إليك مرتعدًا...

يا ربّ، كنتُ مطمئنًّا في منزلي، مرتّبًا أُموري، مستقرًّا،

كان منزلي مؤثّثًا، وكنتُ هانئًا فيه، وفي عزلتي كنت متوافقًا مع ذاتي،

في مأمنٍ من الريح، والمطر، والوحل، ولكنتُ بقيتُ طاهرًا في بُرجي الموصد.

ولكنّك، يا ربّ، أحدثتَ ثغرةً في قلعتي، وأكرهتَني على فتح بابي،

فأيقظَتني صرخة الناس، مثل هبّة ريحٍ لطمت وجهي، وزعزعتني صداقةٌ كالعاصفة.

ومثل شعاع شمسٍ، أقلقتني نعمتك... وفي غفلتي أبقيت بابي مشرعًا.

يا ربّ، أنا الآن ضائعٌ، والناس، في الخارج، يراقبونني،

لم أكن أعرف أنّهم على هذا المدى من القرب منّي، في هذا المنزل، في هذا الشارع، في هذا المكتب.

إنّهم جاري، وزميلي في العمل، وصديقي. منذ شققت الباب شاهدتهم،

مادّين الأيدي، مشدودي النظر والنفس،

مستجدين، مثل متسوّلين على أبواب الكنائس.

ودخل أوائلهم إلى بيتي، يا ربّ، وكان لهم قليلٌ من المكان في قلبي. رحّبتُ بهم، وعُنيت بهم، وداعبتهم، ولامستهم، وكأنّهم حملاني الخاصّة، وقطيعي الصغير.

وبذلك، ربّما كنت أُرضيك، وأخدمك، وأُكرّمك، بلباقةٍ وتهذيبٍ،

وحينئذٍ، كان الأمر معقولاً...

ولكنّني، يا ربّ، لم أكن قد رأيت الآخرين، الذين لحقوا بهم، فقد كان الأوّلون يُخفونهم عنّي.

كانوا أوفر عددًا وأعمق بؤسًا، وقد انقضّوا عليّ بلا استئذانٍ، فكان عليّ أن أتقلّص،

وأن أجد لهم في منزلي مكانًا. وها هم الآن، وقد وافوا من كلّ صوبٍ، موجاتٍ متتاليةً، متدافعةً.

وافوا من كلّ مكانٍ، ومن كلّ أرجاء المدينة، والأمّة، والعالم. حشودهم لا تحصى ولا تنفد.

انتهت عزلتهم، وباتوا جماعةً، سلسلةً، غدوا مرتبطين أحدهم بالآخر، مختلطين، ملتحمين، مثل قطعٍ بشريّةٍ.

انتهت وحدتهم، وها هم مُثقَلون بالأعباء، أعباء الظلم، وأعباء الضغينة والكراهية، وأعباء ألمٍ وخطيئةٍ.

إنّهم يجرّون العالم في إثْرهم، بكلّ أدواته، الصدئة منها والملتوية، أو الجديدة ولكنّها غير ملائمةٍ، والمستخدمة استخدامًا سيّئًا.

إنّهم يوجعونني، يا ربّ، إنّهم مربكون، مزعجون، وما انفكّوا يتوافدون،

إنّهم جائعون يلتهمونني، وما عاد بيدي حيلة، وهم، يدفعون الباب فيُشرَع لهم.

آه! يا ربّ، بابي مشرعٌ على مصراعيْه، وقد فُتّ في عضدي، وضقت ذرعًا.

حياةٌ لا تُحتمل،

أين هو وضعي الاجتماعيّ، أين أُسرتي، أين طمأنينتي، أين حرّيتي، أين أنا؟

آه، يا ربّ، لقد فقدتُ كلّ شيءٍ، ولم أعد أخصّ ذاتي.

ولم يبقَ لي في منزلي مكانٌ.

لا تخشَ شيئًا، يقول الله، فقد ربحتَ كلَّ شيءٍ.

ففيما كانوا يلجون إلى منزلك،

اندسست بينهم أنا، أبوك، أنا، إلهك.

# الخوف من الرغبة

ما عدت أخشى الرغبة، يا ربّ.

في ذاتي، في أغوار ذاتي، وفي ما وراء أغوار ذاتي تولد جميع رغباتي: رغبات الجسد،

ورغبات القلب، ورغبات الروح، رغبة اللانهائيّ، لانهائيّ الحبّ؛

رغبات الإمساك بما يُغذّيني، رغبة التواصل، ورغبة العطاء.

كلّ ألوان الجوع هذه تنبجس من نبعٍ واحدٍ، وأعلم أنّ هذا النبع هو، في أعماقي،

نفحة حبّ من يلدني باستمرارٍ، ويدفعني، في العالم، نحو الكون، وصوب جميع إخوتي،

طاقةَ وحدةٍ، وطاقةَ تواصلٍ، وطاقة خلقٍ لأنّها طاقةُ حبٍّ...

يا رغبةً فيّ أُرحّب بك، أيّةً كانت أشكالك، أُرحّب بك بلا شروطٍ.

ولاحقًا، فقط، سأوجّهكِ وفقًا للهدف الذي اخترته.

لا أُريد قتل الرغبة فيّ، فهي نبعٌ، وأنت، يا ربّ، حاضرٌ في نبعي.

* * * * * * * * * * *

# تأمّلٌ

يا ربّ، لقد تأمّلت مذهولاً، هندسة الوجوه،
الوجوه، الكاتدرائيّات، الكنائس الصغيرة، والمصلّيات المتواضعة.
ومن خلالها أدركت مطارح الغنى والفقر لدى الفنّان
الذي كيّفها من الداخل بكلٍّ من خواطره،
وبكلٍّ من مبادراته.

* * * * * * * * * * *

# يا ربّ، نجّني من ذاتي

هل تسمعني، يا ربّ؟

آلامي ممضّةٌ، يا ربّ،

إنّي مُغلَقٌ على ذاتي، سجين ذاتي، لا أسمع سوى صوتي، ولا أرى سوى ذاتي، ولم أخلّف ورائي سوى الألم،

هل تسمعني، يا ربّ؟

أعتقني من جسدي، فهو جوعٌ صرفٌ،

وكلّ ما يطاله، بعيونه العديدة الجسيمة، وبآلاف أيديه الممدودة،

لا يبتغي إلاّ استحواذه، سعيًا لإرضاء شهيّته التي لا ترتوي.

هل تسمعني، يا ربّ؟

أعتقني من قلبي المنتفخ حبًّا، فحين يوهمني جنوني أنّني أُحبّ، أتبيّن، حانقًا،

أنّني أُحبّ ذاتي، وأحبّ من خلال الآخر.

هل تسمعني، يا ربّ؟

أعتقني من فكري، المتخم بذاته، بآرائه، وأحكامه، والعاجز عن الحوار،

لأنّ لا قول ينفذ إليه سوى أقواله الذاتيّة.

أنا سئمٌ بوحدتي، متعبٌ بها، أمقتها، وأشمئزّ منها،

فلطالما تقلّبتُ في جلدي القذر، ولكأنّني في سرير مرضٍ حارقٍ، أتمنّى الفرار منه.

أودّ الانطلاق، يا ربّ، أودّ السير والجري صوب بلدٍ آخر.

أعرف أنّ **الفرح** موجودٌ، فقد رأيته منشدًا على الوجوه،

وأعرف أنّ **النور** يتوهّج، فقد رأيته يضيء الأنظار،

ولكنّني، يا ربّ، عاجزٌ عن الخروج، إنّي كَلِفٌ بسجني، وفي الآن عينه أمقته،

فسجني هو أنا، هو أنانيّتي، وأنا أحبّ ذاتي، أحبّها، وأقرف منها، يا ربّ.

يا ربّ، لقد بتّ عاجزًا عن تبيّن باب منزلي،

فأجرجر ذاتي، متعثّرًا، فاقدًا البصر، مصطدمًا بالحواجز التي نصبتُها بنفسي،

مصطدمًا بحدودي، أجرح ذاتي، وأتوجّع، أتوجّع كثيرًا، ولا أحد يعلم بي،

لم يدخل أحدٌ إلى بيتي، وأنا وحيدٌ وحيدٌ.

يا ربّ، يا ربّ، هل تسمعني؟

يا ربّ، أرشدني إلى بابي، وأمسك بيدي وافتح،

واهدني إلى السراط،

وإلى طريق **الفرح والنور**.

....ولكن....

هل تسمعني يا ربّ؟

أجل، سمعتُك يا صغيري، وقد تألّمتُ بسببك.

لطالما راقبتُ ستائرك المغلقة. افتحها، فيضيئك نوري.

ولطالما وقفتُ أمام بابك الموصد،

افتحه، تجدْني عند عتبتك.

أنا أنتظرك، والآخرون ينتظرونك،

وما عليك إلاّ أن تفتح،

وأن تخرج.

علامَ تبقى سجين ذاتك؟

أنت حرٌّ.

لستُ أنا من أغلق بابك،

ولست أنا من يقوى على فتحه،

بل أنت من يُبقيه مُرتجًا بالمزاليج، من الداخل.

# الفتى الجانح

إنّي على معرفةٍ بسرّه، سرّه الباهظ، سرّه الرحيب.

كيف لهذا الفتى ذي الوجه الطفوليّ، والذي شاخ باكرًا، أن يحمل على منكبيه هذا السرّ، يا ربّ!

وددتُ أن يفاتحني به، وأن يتيح لي مشاركته في حمله. ومنذ شهورٍ طويلةٍ،

ما فتئت أمدّ يدي لهذا الأخ المسحوق. وهو يأخذ يدي بنَهَمٍ، ويداعبها، ويقبّلها،

ولكن عندما أهمّ باجتذابه، برقّةٍ، فوق الهوّة التي تفصلنا، يتراجع،

لأنّه يمسك سرّه بيده الأُخرى، وهذا السرّ من الثقل بحيث لا يقوى على دفعه إليّ.

هذا يؤلمني، يا ربّ، فأنا أرنو إليه من بعيدٍ، ولا أقوى على الاقتراب منه، وهو يرمقني،

ولا يستطيع الاقتراب منّي..

أنا أتألّم، وهو يتألّم. هو، خاصّةً يتألّم، وهذا ما لا أقوى على احتماله.

فقلبي شديد القِصَر، يا ربّ. وكلّما مددت، من قِبَلي، جسرًا، كي أتّصل بوحدته، يتّضح قِصَر الجسر العاجز عن بلوغ شاطئه.

أمسِ، يا ربّ، انحنى نحوي، وتفوّه بكلمةٍ، ثمّ تراجع، وارتعد جسمه كلّه تحت وطأة السرّ الذي كان يقترب، ولكنّه ما لبث أن تدحرج إلى أغوار وحدته.

لم يجهش بالبكاء، ولكنّي اضطررت إلى كفكفة قطرات العرق الجسيمة، التي قطّرها جبينه،

لا قِبَل لي على أخذ عبئه، بل عليه أن يتنازل لي عنه. أنا أراه، ولا أقوى على الإمساك به.

وأنت تستطيع، يا ربّ، لأنّه لا يريد، ولا يحقّ لي اغتصاب ألمه.

في هذا المساء، يا ربّ، يجول بخاطري جميع الذين يعانون العزلة، ويقاسون الوحدة،

وحدةً مريعةً، لأنّهم لم يسلموا إليك ذواتهم، فهم يعرفون أمورًا، لن يحيط بها أحدٌ علمًا.

الذين يوجعهم جرحٌ لن يجد أحدٌ سبيلاً إلى علاجه، المصابون بطعنةٍ،

لن يتخيّلها أحدٌ، يومًا؛ الذين أخفوا في صمت قلوبهم المريع، حصادًا من الإهانات،

ومن الإحباطات والأحقاد، الذين أخفوا خطيئة موتٍ، فباتوا قبرًا باردًا، مطليّ الواجهة.

وحدة الإنسان تريعني، يا ربّ. كلّ إنسانٍ وحيدٌ لأنّه فريدٌ، وهذه الوحدة مقدّسةٌ،

وهو، وحده، يملك القدرة على كسرها، وأن يبوح لآخر بدخيلة نفسه.

هو وحده، يستطيع العبور من الوحدة إلى التواصل، وأنت، يا ربّ، تريد هذا التواصل،

تريد أن نكون متّحدين معًا، رغم عمق الوهاد الفاصلة، والتي حفرناها ما بيننا، بالخطيئة.

تريد أن نكون متّحدين،

مثلما أنت والآب متّحدان.

يا ربّ، إنّ هذا الفتى يوجعني،

ويوجعني جميع من يعانون الوحدة، إخوته،

هبني أن أُحبّهم،

حبًّا كافيًا لكسر وحدتهم.

هبني أن أجتاز عالمًا كلُّ أبوابه مشرعةٌ

وبيتي خالٍ خلوًّا كاملاً، جاهزًا للترحيب والاستقبال.

ساعدني على هجر منزلي، لكي لا أزعج أحدًا،

ولكي يستطيع الآخرون الدخول بلا استئذانٍ،

وأن يطرحوا عنهم أعباءهم، ولا يراهم أحد.

وسآتي ليلاً، بصمتٍ، كي أتفقّدهم،

وستعينني يا ربّ على حملهم.

# لقد أمعنتُ، يا ربّ، في تأمّل وجوه البشر

يا ربّ، قد أمعنتُ في تأمّل وجوه البشر. وفي وجوهِهم تأمّلتُ عيونهم،

وفي عيونهم، تأمّلتُ نظراتهم، فهي لغةٌ أعمق تعبيرًا من الكلمات ومن الإيماءات.

وها أنذا أعود إليك دهِشًا، مفعمًا رضًى، ولكن أشدَّ نَهَمًا.

وجوهٌ، كتبٌ مفتوحةٌ، تعلّمتُ فيها الكثير، وتلقّيتُ، عبرها، من إخوتي، غذائي وتواصلي.

وجوهٌ فريدةٌ، مآثرُ مميّزةٌ، لم يقوَ أيّ طلاءٍ، ولا الأخطاء والجراح من كلّ نوعٍ،

على تشويهها تشويهًا نهائيًّا، في عيون من يجيدون النظر.

من أيّ عجينةٍ سرّيّةٍ صُنِعْتِ، أيّتها الوجوه، كي تُدَوّن في تجاعيدكِ، النسائم والعواصف،

الأمطار والشمس، حيواتٌ اندرَجت في الهواء الطلق، وكذلك حيواتٌ أكثر سرّيّةً؟

يا ربّ، لقد فتنتني هندسة الوجوه، تلك الكاتدرائيّات، والمعابد والمصلّيات الخفيّة.

ومن خلالها أدركتُ غنى وفقر الفنّان، الذي صنعهم من الداخل، وكلاً من خواطره، وكلاً من تحرّكاته.

تألّمتُ، بقسوةٍ، حيال وجوهٍ مهدّمةٍ، مشوّهةٍ، ورُزت عمق الأوجاع الدفينة،

ومساحة السرّ، والهجمات الماكرة.

وحينئذٍ عاينتُ بعضًا من تلك الوجوه الهائمة، المبلّلة بأمطار العواصف،

فيما لم أستطع، وأسفاه! سوى التقاط بضع دموعٍ، أفلتت من سيولٍ حبيسةٍ.

لقد نهلتُ، بجرعاتٍ دافقةٍ، وحتّى الارتواء، من نور وجوهٍ تسكنها الشمس.

غير أنّني انتظرتُ طويلاً، مثل انتظار إشراق النهار،

ولادةَ بسمةٍ من وجوهٍ يغمرها الليل،

وتجوّلتُ على امتداد غضون وجوهٍ عتيقةٍ، دروبٍ ممهّدةٍ أو محفّرةٍ، بحثًا عن آثار الأفراح والمشقّات، التي حفرت صلصال حيواتٍ إنسانيّةٍ مديدةٍ.

وها أنذا أعود إليك دهِشًا ومفعمًا رضًى، ولكن دائم النهم.

لمَ، يا ربّ، لمَ أنا على هذا القدر من الافتتان؟

وعلامَ أمعنتُ في القيام برحلات الحجّ الطويلة، صوب معابد الوجوه؟

إنّي أعترف، يا ربّ، أنّني انطلقتُ مدفوعًا بالفضول،
فالكتب تكشف عن قسطٍ ضئيلٍ من أسرار الحياة،
فلا بدّ من البحث، في الخارج، عن النور المنشود.
كنتُ أتوقّع العثور على كنزٍ دفينٍ، في هذا الصلصال الذي عُجنّا به،
هذا الغبار، هذا التراب الحيّ، المسكون،
ترابٍ ممتزجٍ بروحٍ، بحيث تتعذّر استبانة، أين التراب وأين الروح،
في تلك الأجساد، وتلك الوجوه،
حيث اقترن التراب والروح اقترانًا حميمًا.

بحثت عن **الحياة** يا ربّ، في ما يتخطّى تناغم الأشكال والألوان.
بحثت عن «الشخص»، في ما يتخطّى كلّ الشخصيّات، وفي ما يتخطّى الأشخاص..
ويا للسرّ الذي يتعذّر إدراكه!...
كنت أبحث، وبغتةً تبيّنت، أنّ جوعي إلى الوجوه، كان جوعًا إلى الله...
كنت أبحث عنك، يا ربّ، وكنت أنت ترسل لي إشارة!
هل ممكنٌ، يا ربّ، أنّ بعض المؤمنين، الراغبين رغبةً صادقةً في التقائك
ما انفكّوا، غالبًا، يضلّون السبيل، ويسيرون وعيونهم شاردةٌ في الغيوم،

في حين يسعهم مشاهدتك، كلّ يومٍ، كلّما التقوا إخوتهم على دروب الأرض...

فمذ جئتنا إلهًا، معجونًا بالصلصال عينه الذي عُجِنّا به،

إلهًا أصبح **وجهًا** في أخينا يسوع،

لم يعد بوسع أحدٍ أن يلتقي إنسانًا، ولا يكتشف فيه شيئًا منك.

**أنت**، يا طفل بيت لحم، في وجه الأطفال المبتسمين، أو الباكين.

**أنت**، الفارّ إلى الهيكل، في وجه المراهقين، الذين باتوا حائرين: هل هم رجالٌ أم أولادٌ.

**أنت**، يا من جُرِّب في الصحراء، في وجه البشر المعذّبين، الذين يمزّقهم شرٌّ لا يني يوسوس ويُغوي.

**أنت** المتجلّي في وجوه البشر،

**أنت** المُدان، المشوَّه، في وجوه المعذّبين، المتأوّهين تحت الضربات، ضرباتٍ على أجسادهم، وضرباتٍ على قلوبهم.

**أنت** القائم من الموت، في وجوه الذين استطاع الحبّ أن يقطنهم، والذي يشعّ منشدًا هلليلويا الفصح.

أودّ، يا ربّ، أن أواصل، بأمانةٍ، هذا الحجّ غير المكتمل، صوب وجه إخوتي،

حتّى يوم **الفرح**، حين يتأمّلونك، أخيرًا، في نورك، وحين، أنا، أيضًا، أتأمّلك.

ولكن ما زال عليّ، أن أُواصل السير، معك، سيرًا متماديًا وشاقًّا،

وأن أُجيد معرفتك، كي أُجيد تعرّفك على وجه إخوتي.

أعطِني، يا ربّ، نعمة احترام الوجوه، فلا أتفرّس بها بقسوةٍ،
محاولاً أن أستأثر بالجمالات العابرة،
أو أن أقتَطف، على ثمار الجسد الحيّ، الثمار التي تنضج من أجل آخرين.

أعطِني، يا ربّ، ألاّ أُشيح بصري عن وجوهٍ غريبة اللون،
وعن وجوهٍ متجهّمةٍ، أو وجوهٍ تثير نفوري.
أعطِ قلبي ألاّ يعرف اليأس، أبدًا،
وأعطِه، أكثر، ألاّ يَدين، عندما تُلبس الكبرياءُ والأنانيّةُ والكراهيّةُ، بعضَ الوجوه،
أقنعةَ مهرجانات الموت المكشِّرة.

بل هبني، يا ربّ، الجرأة كي لا أتوقّف أبدًا عند شواطئ وجوهٍ،
قد تكون ضفافًا جذّابةً، أو أراضيَ مقفرةً حزينةً،
وأَبقني حاجّ اللامرئيّ، متخطّيًا تخوم المرئيّ،
هبني أن أبلغ نبع الحياة الصافي، حيث ترتسم صورتُك، في بحيرة القلوب الساجية.

هبني، يا ربّ، خاصّةً، أن أرمق الوجوه، ولو قليلاً، مثلما كنتَ، قديمًا، ترمقها،

وعلى نحو ما وصفك الإنجيليّ.

امنحني، يا ربّ، قليلاً من حنانك اللامحدود، قليلاً فقط، أتوسّل إليك،

وبذلك تصبح نظرتي إلى الوجوه مداعَبةً تشيع الدفء.

امنحني، يا ربّ، القليل من طهرك،

فأحرّر أغنياتٍ طال حبسها،

وأجأر بصيحاتٍ طالما كُبِتَتْ،

وستتدحرج دموعٌ، وستزهر ابتساماتٌ،

وأنا سأُنصت إلى نشيد الوجوه وبكائها،

وبالسرّ المستعصي على الوصف،

سأسمعك، يا ربّ، تدعوني إلى الإنشاد أو البكاء، معهم، معك، يا ربّ.

## يا ربّ،
## أنت ذلك العاطل عن العمل الذي التقيته منذ ساعةٍ

يا ربّ، لا ريب أنّك متعبٌ، في هذا المساء. فقد انتظمتَ، طويلاً، في الطابور، أمام مكتب التوظيف.

ولا ريب أنّك مُهانٌ، هذا المساء. فقد سمعتَ اليوم الكثير، الكثير من العبارات الجارحة،

وغدًا، ستبلغ مرحلة انتهاء الحقوق. نهاية حقّ الطعام، نهاية حقّ إطعام أُسرتك،

ونهاية حقّك بالعيش، ولن يبقى لك سوى حقّ الموت.

يا ربّ، كم أَلَمُك مُضنٍ هذا المساء! فقد كنتَ، أنت، ذلك العاطل عن العمل،

الذي التقيتُه منذ ساعةٍ، إنّني موقنٌ أنّك كنت ذلك الرجل،

هذا ما قلتَه لي في إنجيلك المقدّس: «كنتُ عريانًا، وغريبًا، ومريضًا، وعاطلاً عن العمل».

أعلم أنّكَ كنتَ أنت ذلك الإنسان، ولكن غرب الأمر عن خاطري.

يا ربّ، ما أطول درب صليبك! وأنا ظننتُ أنّه بلغ نهايته، وظننتُ أنّك، أخيرًا،

أنهيت شوطك هناك على الجلجلة، عقب ساعات عذاباتٍ طويلةٍ، عند ذروة ما ينيف قليلاً عن الثلاثين من سنيك.

كنت أعرف أنّك أتيت إلينا، مثلنا، واحدًا منّا، وشوهدتَ تسلك الدرب معنا،

متبوّئًا، بأمانةٍ، مكانك، في صفّ المتألّمين.

ولكنّي كنت أجهل أنّك كنت قد استهللت درب صليبك، منذ أمدٍ طويلٍ، منذ فجر الأزمنة،

على الأراضي الأولى، حيث عانى الأوّلون، آلامهم الأولى.

ولم أكن أعلم أنّ دربك هذا لن يتوقّف، حتّى يُطلق آخر البشر صرختهم الأخيرة،

على الصلبان الأخيرة. فأنت، يا ربّ، لألفي سنة خلت، كنت قد أوفيت قسطك حتّى غايته،

بأمانةٍ وكمالٍ.

وأمّا درب صليب إخوتك فطويلٌ، بل متمادٍ في الطول، وأنت ما برحت، معهم، وبهم،

مُستَغَلاًّ، منبوذًا، مهانًا، مسجونًا، مسلوبًا، معذَّبًا، مصلوبًا،

ممزّق الجسد والقلب، باسطًا على الزمن آلامك القصوى، فوق كلّ صلبان العالم،

الصلبان التي نصبها البشر.

لقد علّمتني، يا ربّ، أنّ من يحبّ، يعاني آلام محبوبه، ويتفاقم ألمه بقدر ما يعظم حبّه.

وأنت، يا من لا حدود لحبّه، تتألّم حبًّا لا حدود له، عندما ترانا نتألّم،

وهكذا، باقترانك اقترانًا كاملاً بكلّ آلامنا، يا ربّ، تُصلب في أعضائك حتّى آخر الأزمنة.

هذه هي آلامك الكبرى، آلام الحبّ.

يا ربّ، أنا لم أكن على درب الجلجلة، لألفي سنةٍ خلت، مثل أمّك،

التي في تذريف دموعها، كانت تقدّم قلبها،

ومثل النسوة القدّيسات المنتحبات، وأفراد الشعب الصامتين خوفًا،

الجائرين بحقدهم، ولا مثل سمعان القيرينيّ الذي أعانك قسرًا،

ولكنّي، اليوم، حاضرٌ، وأراك كلّما شاهدت المتألّمين، أكلّمك عندما أكلّمهم،

وأعينك على حمل صليبك، عندما أعينهم على حمل صليبهم.

يا ربّ، أودّ أن أكون سمعان القيرينيّ على درب صليب البشر، إذ ما نفع تذريف الدموع حزنًا عليك، وقد متّ منذ ألفي سنةٍ، إن لم أشارك إخوتي ما يقاسون اليوم، من آلامٍ؟

وما نفع التأمّل، والتأوّه، في طقوسٍ تَقَويّةٍ، إن لم أصدفك على دربي، كلّ يومٍ، معانيًا؟

ولكنّي، فيما أصلّي هذا المساء، أمامهم، أمامك، يجول بخاطري، أيضًا، يا ربّ،

أنّ صلبان البشر لا تتجمّع بذاتها، بل نحن، وا أسفاه، نصنعها، كلّ يومٍ،

بأنانيّاتنا، وكبريائنا، ومجموعات خطايانا العديدة.

نحن صنّاع صلبانٍ، نصنعها بمفردنا، أو معًا. إنّنا صناعيّون منظَّمون تنظيمًا ممتازًا،

ننتج الصلبان إنتاجًا مسلسلاً، مُمَنهجًا، متواصلاً، لا يني يتنامى ويزداد جودةً.

صلبانٌ من أجل أُسرٍ ممزّقةٍ، صلبانٌ من أجل أطفالٍ منبوذين، صلبانٌ من أجل من ينفقون جوعًا،

صلبانٌ من أجل محاربين على ساحات الوغى، صلبانٌ من أجل... عاطلين عن العمل.

وصلبانٌ.... وصلبانٌ، وأيضًا صلبانٌ، من كلّ شكلٍ ومن كلّ حجمٍ!

وإن كان علينا أن نصبح، يا ربّ، سمعان القيرينيّ، من أجل إخوتنا المتألّمين،

فسيتحتّم علينا، أن نتضافر جميعنا في النضال، من أجل تدمير مصانعنا العديدة حيث ننتج الصلبان.

أجل، يا ربّ، فلقد كنتَ، أنت، ذلك العاطل عن العمل، الذي التقيتُه منذ ساعةٍ،

وكنتَ، أنت، من كلّمني، من خلاله، اليوم، مرّةٌ أُخرى.

# المستشفى

بعد ظهر هذا اليوم، قصدت المستشفى لزيارة مريضٍ، وكان عليّ أن أذرع مدينة الألم تلك من جناحٍ إلى جناحٍ، متخيّلاً المآسي المخفيّة، وراء الجدران البيضاء، وأزهار الفناء المعشوشب.

اجتزت القاعة الأولى، سائرًا على أطراف أقدامي، بحثًا عن المريض، ملامسًا بنظري الراقدين في أسرّتهم، مثلما يلامس الممرّض الجرح برقّةٍ، متفاديًا إيجاع الجريح.

كنت مرتبكًا، نظير مبتدئٍ تائهٍ في أرجاء معبدٍ حافلٍ بالسرّ، مثل وثنيٍّ في صحن كنيسةٍ.

وفي زاوية القاعة الثانية، عثرتُ على المريض، وأمامه تلعثمتُ، وحرتُ في ما أقول.

يا ربّ إنّي أضيق ذرعًا بالألم، إنّ الألم يسحقني. أنا لا أفهمه: ما علّة وجوده، يا ربّ؟ علامَ يئنّ منذ أسبوعٍ هذا البريء الصغير، المصاب بحرقٍ مريعٍ؟

ولمَ لا ينفكّ يحتضر هذا الرجل طيلة ثلاثة أيّامٍ وثلاث ليالٍ، مطالبًا بأُمّه؟

ولمَ شاخت هذه المرأة، خلال شهرٍ، أكثر من عشر سنواتٍ؟

ولمَ هوى هذا العامل من فوق إسقالته، ولمَ كُسِرَت تلك الدمية المتحرّكة قبل بلوغ العشرين؟

لمَ هذا الغريب، ذلك الحطام الوحيد، أمسى مجرّد جرحٍ متقيّحٍ؟

ولمَ هذه الفتاة المغلّفة بالجبس، ما زالت ممدّدةً على خشبةٍ منذ ثلاثين عامًا؟

لمَ يا ربّ؟

أنا لست أفهم.

لمَ هذا الألم الذي يغمر العالم، يصدم، ويحبس، ويثير، ويحطّم؟

لمَ هذا الألم المتوحّش القبيح، يضرب عشوائيًّا، بلا تفسيرٍ،

يصيب الصالح، ظلمًا، ويحيد عن الشرّير. يبدو متقهقرًا، عندما يطرده العلم،

ولكنّه لا يلبث أن يعود بوجهٍ مختلفٍ، أشدّ سطوةً، وأكثر مكرًا؟

أنا لست أفهم، فالألم قبيحٌ وهو يخيفني. فعلامَ هؤلاء، يا ربّ، وليس الآخرون؟

لمَ هؤلاء، وليس أنا؟

(يجيب الربّ):

يا صغيري، لستُ أنا، إلهك، من أراد الألم. بل هم البشر من أرادوه، وأدخلوه إلى العالم، عندما أدخلوا إليه الخطيئة. فالخطيئة فوضى، والفوضى تؤلم. ألا ترى أنّ كلّ خطيئةٍ يقابلها ألمٌ في مكانٍ ما من العالم ومن الزمن. وكلّما تكاثرت الخطيئة، ازداد الألم. ولكنّني جئتُ وأخذتُها جميعها على عاتقي. أخذت آلامكم، وأخذت، أيضًا، خطاياكم. أخذتها وتألّمت بها معكم، وحوّلتها وسَمَوْتُ بها. إنّها ما زالت ألمًا، ولكنّه ألمٌ يخدم، فمن آلامكم جعلتُ فداءً، إذ سكبتُ فيها حبّي كلّه.

# يا ربّ، لمَ عليّ دائمًا أن أتحامل على ذاتي؟ لست راغبًا

لست راغبًا في الاستيقاظ، ولست راغبًا في الرقاد، ولست راغبًا في الذهاب للعمل،

ولا في المثول إلى المدرسة.

لست راغبةً في تنظيف البيت وترتيبه، ولا في كيّ الغسيل،

لست راغبًا في إطفاء التلفزيون، ولا في إتمام وظائفي المدرسيّة.

لست راغبًا في الصمت، ولست راغبًا في الكلام.

لست راغبًا في المضيّ إليه كي أُحدّثه، وأشدّ يده، ولا حتّى في الابتسام له. لست راغبًا في تقبيله، ولست راغبًا في أداء الخدمة المطلوبة، ولا بالالتزام، ولا بحضور هذا الاجتماع.

لست راغبًا في مقاومة دعوة الدرب المختصر، الذي يحيد عن طريقي.

ولست راغبًا في إطفاء هذه الصور المذهّبة، التي لا تني تظهر على شاشة أحلامي.

لست راغبًا في مصارعة الزمن، ولا في التوقّف، ولا في إعمال الفكر، ولا في تأمّل أقوالك، ولا في الصلاة.

يا ربّ، لمَ عليّ دائمًا أن أتحامل على ذاتي، كي أحيا كلّ يومٍ، كما ترغب أنت أن نحيا؟

هذا ليس بالأمر السهل، وليس بالأمر المبهج، كثيرًا ما يطيب لي أن أفعل ما هو محظورٌ عليّ، ولا رغبة لديّ في عمل ما يتوجّب عليَّ فعله.

يا ربّ، هل صحيحٌ أنّه يتوجّب دائمًا علينا أن نقسر ذواتنا... حين لا رغبة لنا في ذلك؟

يقول الربّ:

إنّه صحيحٌ، يا صغيري، أنّه ينبغي إرواء البذرة كلّ يومٍ، كي تنبثق لنا عن شجرتها،

وأنّ على الأمّ أن تعاني كي يرى جنينها النور، وأنّ على الوالدين رعايته حتّى يبلغ قامة الرجال.

وأنّ على الخبّاز أن يعمل، ليلاً، كي يعجن الخبز، وأنّ على العمّال أن يجهدوا في متابعة سلسلة الإنتاج، حتّى تدور السيّارة... حتّى إن لم يكن لدى أولئك رغبةٌ في الاضطلاع بمهمّاتهم تلك.

صحيحٌ أنّ على العلماء أن يكبّوا طويلاً على البحث، كي يجدوا العلاج الشافي. وأنّ على بشرٍ أن يضحّوا بحياتهم كي يتحقّق العدل. وأنّ على العشّاق أن يموتوا، كلّ يومٍ، عن رغباتهم الأنانيّة، كي يحيا الحبّ... حتّى إن لم يرغبوا في ذلك.

إذ، أين ستكون كرامتك، يا صغيري، وأين حرّيّتك الجميلة، وقدرتك على الحبّ،

إن مَنَحك اللّه الآب الشجرة شامخةً، والولد بالغًا، والخبز ناضجًا،

ومُقدَّمًا على المائدة، والأدوية المنقذة معصومةً من الخطأ، والكون فردوسًا من أجل بشريّةٍ مطمئنّة، والحبّ زهورًا غير معرّضة للذبول؟

إنّه لمن الصعب أن يكون الإنسان إنسانًا، وصعبٌ أن يحبّ. أنا عالمٌ بذلك.

وأنا لم يكن لديّ أيّة رغبةٍ في تسلّق سلّم الجلجلة، طيلة ثلاثين عامًا.

ولكنّ أبي كان راغبًا في أن تكون حياتي كلّها مقدّمةً من أجلكم.

وأنا كنت أحبّكم، يا إخوتي.

ولئن أنا تحاملت على ذاتي، من أجل تسنّم الصليب،

فلكي تُكلَّل جهودكم، ذات يومٍ، بالحياة.

هيّا، يا صغيري

لا تتساءل هل أنت راغبٌ في هذا العمل أو ذاك،

بل تساءل هل اللّه الآب راغبٌ فيه،

من أجلك ومن أجل إخوتك.

لا تسألني القوّة على إكراه ذاتك،

بل اسألني، أوَلاً، أن تحبّ إلهك وإخوتك، بكلّ قواك.

فإذا كبر حبّك قليلاً،

لتناقص ألمك كثيرًا،

إن تعاظم حبّك كثيرًا،

فسيتفجّر **الفرح** من ألمك،

ومعه ستتفجّر **الحياة**.

# صلاةٌ في قعر وحدتي

أنا وحيدٌ، يا ربّ، وحيدٌ، هل تفهمني؟ وفي الخارج القوم يحتفلون.

لقد أخرستُ جهاز الراديو، الذي غالبًا ما يوهمني بوجود حضورٍ، وبغتةً تسلّل الصمت إلى حجرتي، واستقرّ الغمّ، خلسةً، في قلبي.

أعرتُ سمعي، لحظةً، للتحرّكات القليلة المتصاعدة من السلّم، متخيّلاً وقع خطوات... هل مَن يصعد؟

علامَ هذا الأمل المجنون، بما أنّني لا أنتظر أحدًا، وبما أنّه لن يأتيني أحدٌ؟

لو شئتَ، يا ربّ، لأرسلتَ إليّ زائرًا، فأنا بحاجةٍ إلى زائرٍ، إلى يدٍ، يا ربّ، مجرّد يدٍ تحطّ على يدي، مثلما يحطّ عصفورٌ. أحتاج إلى شفتين تحطّان على جبيني، وتشيعان فيّ دفء القبلة، وتُثبتان لي، على الأقلّ، أنّني موجودٌ لأيّ إنسانٍ.

أحتاج إلى بضع كلماتٍ، وفي هذه الكلمات، إلى خفقان قلبٍ يقدّم ذاته.

ولكن لن يأتي أحدٌ، وسأبقى وحيدًا، وحيدًا، فيما القوم، في الخارج، يحتفلون.

أجل، يسعك، يا ربّ، أن تتكلّم، فسأسمعك في أغوار قلبي.

إنّي أعرف أغنيّتك، التي لا يني يردّدها الكهنة على مسامعي:

«أنت لست وحيدًا، بما أنّني هنا». أجل أنت هنا، ولكن بلا أيدٍ ولا شفاهٍ،

ولا نظراتٍ ولا كلماتٍ. وأنا لستُ ملاكًا، إذ إنّك صنعتَ لي جسدًا.

ألا تقول لي شيئًا، بعد، يا ربّ؟ حتّى أنت! هل أنت مستاءٌ؟...

لطالما ذرعتُ سجن وحدتي، وأخفقت الكلمات المتقاطعة المعلّقة على مربّعاتها، في العثور على الباب الذي يمكّنني من الخروج، ولبثت سجينًا مع أنّي لا أستحقّ السجن.

وبغتةً يجول بخاطري، وربّما أنت من يوحي لي بذلك مجدّدًا، أنّ هناك آخرين غيري، يعانون الوحدة. إنّي أعرف بعضًا منهم على مقربةٍ منّي. أعرف هذا العالم القاسي، الزاخر بملايين البشر، تلك الأجساد المكدّسة في الأبنية أو في الحشود، تتلاصق، وتتلامس، وتتصادم، ولا تلتقي أبدًا.

ليس هذا ما أردتَه، يا ربّ. فقد أعلنتَ أنّك أتيت من أجل لمّ شمل الأبناء المفترقين، كي تجعل منهم أُسرةً، بفضل حياتك المبذولة.

إنّ ألمي الآن، يا ربّ، يحدّثني، بإسهابٍ، عن آلام الآخرين، فأسمع أنّاتهم التي تفوق أنّاتي، وبتُّ، أخيرًا، أُدرك

أنّ دواءً واحدًا كفيلٌ بشفاء وحدتي، وهو الحرص على شفاء وحدة الآخرين.

لقد وجدتُ دعوتي، يا ربّ، أنا الذي طالما عانى الشعور المضني بأنّي نافلٌ،

لا نفع منّي، وواهي القدرات، مع امتلاكي قلبًا كبيرًا.

سأكون، في الكنيسة، راقع الثقوب والشقوق، جاهدًا في شدّ العلاقات المرخيّة،

ساعيًا إلى ترميم ما كُسِر منها،

وبذلك سأُصلح، ولو قليلاً، لُحمة نسيج الأسرة.

فبما أنّك، يا ربّ، تفتقر، على هذه الأرض، لأيدٍ، وشفاهٍ، ونظراتٍ، وكلماتٍ،

أتطوّع لأكون وسيطًا لخدمة جميع الذين يحتاجون مثلي لجسدٍ،

حتّى إن كان هَرِمًا، ولأقول لهم إنّهم ليسوا وحيدين، وإنّ هناك من يحبّهم.

وداعًا يا وحدتي! تقدّم الوقت هذا المساء، ولكن،

أعدك، يا ربّ، أنّني، غدًا، سأستأنف مهمّتي، بادئًا بزيارة جارتي.

مساء الخير، يا ربّ،

وبما أنّني، مرّةً أُخرى، محرومٌ من قبلةٍ، ولا يتعيّن عليّ أن أُقابلها بمثلها،

فغدًا ستكون لديّ قبلةٌ جاهزةٌ أستطيع منحها.

# ما زلنا متحابّين

يا ربّ، استيقظتُ... ولم أجده.

تقلّبت في سريري... ولكنّ المكان كان خاويًا، وما برحت أناملي الوحيدة تبحث عن أنامله.

أظنّ، وأرجو، أن يكون حبّي لديك، يا ربّ، ولكنّني لا أستطيع اعتياد غيابه.

وكلّ استيقاظٍ هو لي تمزّقٌ، يحاكي تمزّق المريض الذي يستيقظ فيلقى أنّ أَعضاء له قد بُترت.

لم يعُد، هنا. ولن أسمعه، من بعدُ، فهو نشيدي الذي خرس.

لن أكون، بعدُ، تربته المُعَدّة لأعمال حراثته اليوميّة.

ولن أجتاز، بعدُ، على محيّاه الحبيب أثلام تجاعيده، حيث كنت ألملم الحياة،

وحبّات الحياة الأخيرة، وآلاف ثمار الحبّ، التي، يومًا إثر يومٍ، في الفرح وفي الغمّ،

كنّا قد زرعناها وحصدناها.

لن أتقرّى، بعدُ، في أعماق عينيه، النور العذب المنبعث من بصره النائس،

بعد الصباحات الصافية، وحرائق الظهيرة، وأحيانًا في ظلال الأيّام، التي تتكدّس فيها الغيوم،

وتتفجّر العواصف، وقبل أن ينبثق في قلوبنا قوس قزح السلام.

كنّا متحابّين، ولم ينتهِ حبّنا المتبادل.

كنّا متحابّين، يا ربّ، ولكن كنّا نحيا معًا. كان هو يسكنني وكنت أنا أسكنه

وأنت، يا ربّ، كنت تدمج حياتَيْنا، جاعلاً منها حياةً واحدةً.

ولكنّه انطلق إلى تلك الضفاف البعيدة، التي لا يستطيع أحدٌ بلوغها، إلاّ عبر الموت.

ومن ضفّتي، من هذه الأرض التي تطأها قدماي، ما عدتُ قادرةً حتّى على لمحه.

يا حبيبي الذي غاب، ونأى بعيدًا، في ضباب اللانهائيّ.

لم يعُد هنا

يا ربّ، يُقال إنّ المرء يعتاد، وإنّ الزمن يفعل فعله. ولكنّني بتُّ أعرف، الآن،

أنّ لا الزمن ولا الموت قادران على قهر الحبّ. فذات صباحٍ قلت له: «إلى الأبد»،

وهو قال لي: «إلى الأبد». وأنت وعدتَنا بأنّنا سنحبّ أحدنا الآخر حتّى الأبديّة.

ويا ربّ، حتّى إن لم أرَ، أريد أن أومن بوعدك، إنّي مؤمنةٌ به.
حبُّنا لم ينتهِ.

ولكن، بالأمس كنّا نجهد معًا، كلّ يومٍ، فحتّى عندما كنّا نبتغي سعادة الآخر،

غالبًا ما كنّا نبتغي سعادتنا. كنّا نعطي تارةً، وكنّا نأخذ تارةً أُخرى، وكانت جهودنا المتكرّرة، تنمّي حبّنا.

اليوم دخلنا المطهر. أنا أتألّم من جرّاء وحدتي، وهو يتألّم من البُعاد.

ربّما كان سعيدًا بمنأًى عنّي، وأنا بمنأًى عنه، أعاني بؤسًا جمًّا.

ولكنّه هو، يا ربّ، يطهّر حبّنا في نورك، وأنا يتعيّن عليّ إتمام حبّنا في ليل الظلام.

أَعِنّي، يا إلهي، على حبّه في غيابه، اليومَ، أكثر ممّا أحببته أمسِ، في حضوره.

أعنّي على أن أُحبّه، أخيرًا، غير متوقّعةٍ أيّ مقابل، وأن أسعد لسعادته،

ولقربه منك، غير جانيةٍ لنفسي سوى فرح فرحه.

أجل ما زال حبّي كاملاً، في قلبي النابض، لم ينلْ منه الموت، وهذه هي علّة ألمي، فنبعي لم ينضب، يا ربّ، إنّه يسيل ويتدفّق.

وما زال لديّ فيضٌ من كلمات الحبّ، وآلافٌ من مبادرات الحنان، واحتياطيٌّ من البسمات التي لم تُستعمل بعد، ومدرار دموعٍ تغرق قلبي، وتُنبت بسرعةٍ فائقةٍ، كلّ أزاهير الحبّ.

ولن أدع، يا ربّ، هذه الأزاهير تذوي، وتذبل في قلبي الموصد،

بل سأقطفها، كلّ يومٍ، حصادًا رائعًا لأبنائي، ولأحفادي، وأصدقائي، وجيراني، وكلّ المستعطين المنسيّين الذين يتسوّلون فتات الحبّ هذه، على حافّات دروبي.

ولكنّ ألمي، يا ربّ، يبقى ألمي، تبقى الوحدة المريعة والأيّام متمادية الطول، والليالي الكثيفة، ويبقى **الغياب**، الغياب القاسي،

والفراغ السحيق الذي يهوي فيه قلبي المذعور، في بعض الأمسية، ولا يلقى له قعرًا. إنّي أفتقده، يا ربّ، هل تفهم؟ إنّي أفتقده.

علامَ تخلّيتَ عنّي؟

عفوك، يا ربّ. اصفح عن إحباطاتي، مع أنّك، كلّ يومٍ، تومئ لي من صليبك.

وأنا، كلّما أغفلت التحديق فيك، يغشاني الليل. أنت تسمعني،

وهو المقيم إلى جانبك يرمقني، وبحبّه يدعوني، ويرشدني، ويساندني.

بفضلك، أنت يا ربّ، وبفضله، حتّى ألمي لن يُهدَر،

فسأقدّم هذا الفيض من الحبّ، الذي يقتضيه الألم منّي،

حبًّا يحيا وينمو، متخطّيًا محنتي.

سأُقدّمه من أجل الشبّان الباحثين عن الحبّ الذين يبحثون ولا يجدون،

وفي براءتهم يضلّلهم سرابٌ خاطفٌ.

أولئك الذين يجهلون، يا ربّ، أنّ الحبّ الحقّ، هو الانسلاخ عن الذات ومنحها للآخر، والانفتاح لتلقّي هبة الآخر.

إنّهم يجهلون أنّ الحبّ هو، غالبًا، عذابٌ، قبل أن يكون فرحًا. فرح حياةٍ جديدةٍ تتجسّد في حياتين متّحدتين، لا تدمّر أحداهما الأُخرى أبدًا.

إنّهم يجهلون أنّ الحبّ الصحيح الوحيد هو الحبّ إلى الأبد. وأنّك أنت وحدك قادرٌ على إضفاء بُعدٍ لانهائيٍّ على هذا الحبّ.

يا ربّ، إنّني راغبةٌ في أن أقول لهم كلّ ذلك من خلال حياتي.

وبما أنّ حبيبي المقيم بقربك، ينتظرني،

سأنتظر، أنا أيضًا، لقاءه، بسلام.

وسأجعل هذه الخطوبة الجديدة، الخطوبة القاسية والعذبة،

وهذا الانتظار، تقدمةً،

قبل أن أرتمي بين ذراعيْ حبّي الوفيّ

ويحبّ أحدنا الآخر، يا ربّ،

الحبّ الذي أنت تريده

**لانهائيًّا وأبديًّا.**

# لقيت مارسيل وحيدًا

كان الوقت يشارف الظهيرة عندما قرعت باب مارسيل، وإذ به ما زال راقدًا، وحيدًا، في سريرٍ غدا فضفاضًا، بعد أن هجرته زوجته منذ أيّام.

لقد أوجعني، يا ربّ، هذا الشابّ المحبَط، وهذا المنزل الذي يكاد يكون فارغًا مفتقدًا إلى حضورٍ، مفتقدًا إلى حبٍّ.

لم أشهد باقة الزهور على المدخنة، ولا أدوات التجمّل على حافّة المغسلة،

ولا السماط فوق المنضدة، ولا الكراسي حسنة الترتيب.

بل وجدت الأغطية قذرةً، والسرير مجعّدًا مثل عجوزٍ، والمنفضة فائضةً، والأحذية مبعثرةً على الأرضيّة الخشبيّة. منزلٌ كئيبٌ، قاتمٌ، كريه الرائحة.

أحزنني الأمر، يا ربّ، وأحسست بوجعٍ وتمزّقٍ وتخلخلٍ،

ورأيت أنّ ما نظّمتَه أنت، أصلاً، كان هو الصحيح. فلا نظام ولا جمال،

ولا حبّ ولا فرح، خارج نظامك الأبديّ.

في هذا المساء، أرجوك، يا ربّ، من أجل مارسيل... ومن أجلها ومن أجل أبنائهما،

ومن أجل الأُسر المناصرة والجيران المثرثرين، والزملاء الذين يُصدرون الأحكام.

أسأل صفحك عن كلّ التمزّقات، وكلّ الجراح، وعن دمك المراق من أجل شفاء هذه الجراح في جسدك السرّيّ. أسألك، ياربّ، هذا المساء، أن تعلّمني وتعلّم أصدقائي الحبّ.

ويجيب الربّ:

«يا صغيري، ليس الحبّ بالأمر الهيّن. غالبًا ما تظنّ أنّك تحبّ، في حين أنّك لا تحبّ سوى ذاتك، مفسدًا كلّ شيءٍ، محطّمًا كلّ شيء.

إنّ الحبّ لقاءٌ، واللقاء يقتضي الخروج لمقابلة الآخر.

الحبّ تواصلٌ وشراكةٌ، لا يتحقّقان إلاّ بنسيان الذات، والموت التامّ عن الذات من أجل آخر.

اعلم، يا صغيري، أنّ الحبّ يوجع. أصغِ جيّدًا: منذ الخطيئة، بات الحبّ هو الإقدام على الصلب من أجل آخر.

# إنّي أشيخ، يا ربّ

إنّي أشيخ، يا ربّ. وما أقسى الشيخوخة!

ما عدت قادرًا على الجري، ولا حتّى على السير السريع.

لم تعد لديّ طاقةٌ على الأحمال الثقيلة، ولا على ارتقاء سلّم منزلي صعودًا سريعًا،

يداي باتتا ترتجفان، وسرعان ما تتعب عيناي على صفحات الكتاب.

ذاكرتي تضعف، وتتمرّد، وتخفي عنّي تواريخ وأسماءً تعرفها جيّدًا.

إنّي أشيخ، وعلاقات المودّة التي حبكتُها على امتداد سنواتٍ طويلةٍ، تتراخى واحدةً إثر واحدةٍ، وتتحطّم أحيانًا. كم من معارفي، وكم من أحبابي ينأون ويغيبون في ما وراء الزمن!

وقد باتت نظرتي الأُولى إلى صحيفة النهار تستقري، بقلقٍ، إعلانات الوفاة.

كلّ يومٍ، يا ربّ، يتفاقم شعوري بالوحدة، وأمكث وحيدًا مع ذكرياتي وأحزاني القديمة،

التي ما انفكّت حيّةً في قلبي، في حين أنّ أفراحًا كثيرةً تبدو مضمحلّةً.

افهمني، يا ربّ، أنت يا من أحرق وجوده في ثلاث وثلاثين سنةً كثيفةً،

ولم يخبَر سيرورة الشيخوخة البطيئة، ومراقبة الحياة التي تتسحّب، بلا رحمةٍ،

من هذا الجسد الصدئ، الذي بات يحاكي آلةً دواليبها تصرّ، وتأبى أداء خدماتها،

ولم تخبَرْ المكوث مترقّبًا كرّ الزمن، زمنٍ يبدو أحيانًا بطيء السير، ولكأنّه يسخر بي، ويدور، وينسحب أمامي ومن حولي، رافضًا التنازل عن مكانه

للّيل القادم الذي يؤتي، أخيرًا، سانحةً للنوم.

يا ربّ، كيف يمكن تصديق أنّ زمن اليوم، هو نفس الزمن الذي عهدناه آنفًا،

ذلك الوقت الذي كان، في بعض الأيّام، وفي بعض الأشهر، يجري سريعًا،

بحيث كنت أعجز عن اللحاق به، وكان يفلت منّي، قبل أن أستطيع ملأه حياةً.

يا ربّ، لديّ الآن وقتٌ، فيضٌ من الوقت. وقتٌ يتكدّس إلى جانبي، نافلاً غير مستخدَمٍ،

وأنا هنا جامدٌ، لا جدوى منّي.

أنا أشيخ، يا ربّ. والشيخوخة قاسيةٌ. وأنا أعرف أنّ السأم بلغ ببعض أصدقائي

أن يسألوك، غالبًا، إنهاء حياتهم، التي أَمست عديمة الجدوى.

ويجيب الربّ:

أصدقاؤك أولئك مخطئون، فحتّى إذا لم تقل قولهم، أنت توافقهم أحيانًا.

إنّ لجميع إخوتكم البشر حاجةً إليكم، وأنا أحتاج إليكم اليوم، مثلما كنت أحتاج إليكم أمس،

فالقلب الذي ينبض، حتّى إذا كان مهترئًا، ما زال يعطي حياةً للجسد الذي يسكنه.

وبوسع الحبّ أن يتفجّر من هذا القلب، وغالبًا ما يكون أشدّ قدرةً وطهرًا،

عندما يفسح له، أخيرًا، القلبُ المنهكُ مكانًا.

إنّ بعض الحيوات المدوّية، قد تكون خاويةً من الحبّ. في حين أنّ حيواتٍ أُخرى تبدو تافهةً

ولكن لا حدود لإشعاعها.

انظر أُمّي مريم منتحبةً، جامدةً عند أقدام صليبي، واقفةً مستقيمةً. ولكنّها عاجزةٌ، هي أيضًا،

عجزًا مأساويًّا.

لم تكن تفعل شيئًا سوى حضورها، كلّيّة الخشوع، كلّيّة الترحيب، كلّيّة التقدمة.

وهكذا، هي معي، خلّصَتِ العالم، وأعادت له كلّ الحبّ الذي هدره البشر، على دروب الزمن.

معها، اليوم، عند أقدام صليب العالم، تقبّل أنت آلام البشريّة الجسيمة، ذلك الحطب الميّت

في موقد الحبّ. وتقبّل، أيضًا، الجهود والأفراح. فالأزهار المقطوفة جميلةٌ، ولكن لا طائل تحتها،

إن لم تُقدَّم. وما أكثر البشر الراغبين في الحياة، ولكنّهم ينسون العطاء!

صدّقني: بوسع حياتك اليوم أن تكون أوفر غنًى ممّا كانت أمس، إذا ارتضيت أن تشيخ ثابتًا في المساء القادم.

وإذا آلمك ألاّ تملك شيئًا يُمكنك إعطاؤه، **فقدّم عجزك**.

وأنا أقول لك: معًا سنواصل خلاص العالم.

# يا ربّ، هبني اليقين بأنّك تناضل معي

يا ربّ، إنّني مع رفاقي أناضل، وفيًّا لحركتي ولمنظّمتي، متضامنًا في الكفاح من أجل حياةٍ أوفر إنسانيّةً وعدلاً. ولكنّ المعركة قاسيةٌ، وغالبًا ما أتوجّس خشيةَ أن أشنّها بمعزلٍ عنك.

يا ربّ، أودّ التيقّن بأنّني أناضل معك.

محزنٌ أن تستنفر الحرب المحتدمة رجالاً للقتال.

قد يحلّ يومٌ يؤثر فيه، جميعهم، النوم على النضال،

وكلّ ذلك لن يحدث في الغد.

وما أكثر القضايا التي تستدعي الدفاع عنها اليوم! وها هي الحروب ناشبةٌ تستدعي المحاربين،

ثمّة حاجةٌ إلى رجالٍ يُعنون بالجرحى ويدفنون الموتى،

فالضحايا كثيرةٌ، وتستلزم التفاني.

ثمّة حاجةٌ إلى رجالٍ يُوقّعون المعاهدات، آن تبلغ معاركُ نهايتها، أخيرًا.

ولكنّ ثمّة حاجةً إلى مزيدٍ من الرجال، من أجل تفادي الحروب وبناء السلام،

السلام الذي لا يزهر إلاّ في تربة العدل.

تردّدتُ طويلاً قبل الانخراط في هذه المعركة السلميّة،

وبانضمامي إلى محاربين آخرين حاولت تهدئة روع ضميري، بحجّة أنّ لا قدرة لرجل واحدٍ على تحريك العالم.

رفضتُ الجماعات المشبوهة التي تصنع الثورات،

وكان عالم الاقتصاد، والنقابات والسياسة، في نظري، عالمًا موبوءًا، وخشيتُ، إن انغمستُ في لجّته، أن أُلطّخ قلبي بالقذارة.

ولكنّني، يا ربّ، لم أعهد السلام. أوَلم تكن أنت من يستدعيني من خلال الأحداث؟

فقد علّمتني واجب حبّ إِخوتي، ومحبّتهم ليست مجرّد إهداء بسمةٍ، ومدّ يدٍ،

وتقديم الخدّ الأوّل الذي لا يتهرّب، والخدّ الثاني الذي يصفح،

عندما يكونون مفتقرين إلى الطعام، جهلاء، مُستَغَلّين، محرومين من خبز الكرامة.

وهل يجوز لي أن أُعيدهم إلى بيوتهم وقد أطبقتُ يدهم على مئة فرنك، قائلاً:

«أحبّكم»، ما لم أقُلْ: «أصلّي من أجلكم»؟

لقد تطوّعتُ، وأنت تعلم كم هذا الالتزام شاقٌّ.

فلئن كان القوم يغدقون الإعجاب والتكريم على المحاربين، في أثناء احتدام المعارك،

إلاّ أنّهم ينتقدون، وغالبًا يدينون،

وقد يدينون بقسوةٍ، أولئك الذين يسعون إلى تحويل هذا العالم الظالم القاسي إلى عالمٍ أخويٍّ.

لقد دفعتَني إلى الأمام، يا ربّ، فأرجوك ألاّ تتركني وحيدًا.

فمن جرّاء اندفاعي أجد نفسي في حومة الاشتباكات،
وأتلقّى اعتداء خصومي الذين يمطرونني بضرباتهم،
وقد لا أنجو من ضربات أصدقائي أيضًا.
إنّي أواجه أحكامًا خاطئةً، فأُصنَّف متوغّلاً يمينًا، أو متوغّلاً يسارًا،
أو متوغّلاً في الوسط، وكلٌّ يصفني بلونٍ مختلفٍ، فيتولاّني الشكّ أحيانًا.

ليس الكفاح طاهرًا، وهذا مصدر آلامي،
والمعارك من القسوة بحيث لا مفرّ لي من الاعتراف بأنّك غالبًا تغيب عن نظري.
فأندم، وأخجل، وأنتظر صفحك، لأنّني، عندما تراودني رغبةٌ في الكفاح،
أبتغي أن أُكافح معك.
استمع إلى دعائي، يا ربّ، إنّي أعرف أنّ بنياننا ليس هو ملكوتك،
وأعرف، أيضًا، أنّ الخميرة تحتاج إلى عجينٍ تخمّره،
والعجين يحتاج إلى دقيقٍ، والدقيق إلى قمحٍ،
والقمح، والدقيق والعجين تستلزم جهد أيدينا لكي ينضج الخبز،
ويُقتَسم قسمةً عادلةً، لكي تجعل من تقدمته إفخارستيّا.
يا ربّ، أتوسّل إليك، أعطني خميرة حبّك!
ساعدني لكي لا أحكم ولا أدين الجالسين في ردهة المسرح، مطمئنّين،
يتناقشون، وهم يراقبوننا في الحلبة نصارع.

واحمني من حسدهم، وأنا أشهدهم ينعمون بانتصاراتنا،
ناسين أنّهم مدينون لنا بها، ولا يساورهم في ذلك أيّ حرجٍ.
ساعدني كي أفهم، وأتقبّل إخوةً يشاركونني الإيمان عينه،
ولكنّم يعلنون آراءً مناقضةً لآرائي،
وهبني قدرة اقتسام المائدة الواحدة مع من أقاومهم.
ساعدني كي أتّخذ من إنجيلك ملاذًا ومآبًا،
لا بغية العثور فيه على «وصفات»، بل لكي أتغذّى بكلامك،
عسى أن يُنبت بذارًا جيّدًا في تربتي المُعَدّة،
ويُزهر بشرى لإخوتي، وينضج من أجلهم، ويؤتي ثمار عدلٍ وسلامٍ.
هبني، يا ربّ، أخيرًا هذه النعمة الكبرى، التي لا قدرة لغيرك على منحها،
نعمة محبّة الخصوم مثل محبّة الحلفاء،
محبّةً لا أودعها محراب مشاعري الطيّبة السرّيّ، بل محبّةً تتجلّى بالإصغاء إليهم،
واحترامهم، ومحاولة فهمهم،
والتيقّن من أنّ الصدق والسخاء ليسا حكرًا عليّ، بل أنّهما قادران على سكن الآخرين،
حتّى الأعداء منهم.
وأنت تعرف، يا ربّ، اندفاعي الذي أدعوه هوى العدالة،
وكم أودّ، أحيانًا، أن أنتقم، وأن أجرح بدوري، مَنْ جرحني،

وكم يشقّ عليّ، أجل يشقّ عليّ كثيرًا، أن أصفح!

هبني، ياربّ، قدرة الصفح.

يجيب الربّ:

«أنا معك، أنا في معاركك، إنّي أواكب جميع من يناضلون دفاعًا عن إخوتهم،

حتّى عندما يخاطرون في كلّ ساحةٍ، بعيدًا عن الملاذ المحميّ، حيث يغفو الجبناء.

ولكن راقب قلبك، يا صغيري، إذ لا يسعني أن أكون حيث يقيم الحقد،

ووحده الحبّ يضمن لك النصر، لأنّه يضمن لك حبّي.

علامَ ترتاب، يا قليل الإيمان؟

طوبى لك، طوبى لكم جميعكم،

يا من يجسرون على تلطيخ ذواتهم، تلطيخ أيديهم وأقدامهم في معارك العدالة،

فأنا لم آتِ لمن يحرصون على نظافتهم،

ويقبعون خافين أيديهم في جيوبهم.

لا تخشَ شيئًا!

لقد غسلتُ أرجل تلاميذي،

وسأغسل، أيضًا، أرجل المناضلين التي كساها الغبار.

# هيروشيما

## (تأمّل داخل قطار)

العتمة تخيّم على هيروشيما. هل هي غمامة عارٍ على جبين السماء التي رأت، في غضون عُشر ثانيةٍ، مئتي ألف إنسانٍ يُجَرّدون من حياتهم؟

هل هو مصنعٌ يبصق عمل المغتصبين، دخاناً؟ هل هو ليل قلبي، البركان المستيقظ الضاجّ بثورةٍ مكتومةٍ؟ العتمة تخيّم على هيروشيما.

أين أنتم أيّها الأموات؟ أُحدّق ولا أراكم، أُصغي ولا أَسمعكم.

أسمع ضجيج المدينة، أسمع وقع أقدامٍ، أسمع أصواتاً، أسمع ضحكاتٍ،

أسمع ملايين الأحياء يسيرون فوق رمادكم.

أين أنتم أيّها الأموات؟ استيقظوا ! تكلّموا!

هيّوا، حدّثونا عن حرارة البرق، عن رائحة الكبريت، عن طعم الرماد!

هيّوا أكملوا الجملة التي استهللتموها، ومَلءَ الكأس التي هممتم بملئها،

وطبع القبلة التي هممتم بإهدائها.

أيّها الشعب المبتور، الممحيّ، الذي أمسى غبارًا، وظلالاً، وليلاً، وعدمًا،

صمت أمواتٍ، وصمت اللّه.

علامَ تخرسون أيّها الأموات، إنّي توّاقٌ إلى سماع صوتكم!

اصرخوا! اصحوا! افضحوا الظلم، أعلنوا أنّنا مجانين.

«إن قام واحدٌ من الأموات لن يصدّقوا» (لوقا ١٦ : ٣١)

يا أرض هيروشيما، احتفظي، إذن، بأمواتك!

ولكن أنت، يا إلهي،

أيّها اللّه المريع في صمته، المثبّت على صليبه، تكلّم!

اصرخ، أيقظنا، قل لنا أنّ الحبّ علينا واجبٌ!

«إنّ اللّه، بعد أن كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء، مرارًا عديدة، وبشتّى الطرق،

كلّمنا نحن، في هذه الأيّام الأخيرة، بابنه...» (عبرانيّين ١ : ١–٢)

يا يسوع، ألن تتكلّم، أنت أيضًا؟ «أمّا هو فكان صامتًا لا يجيب بشيء» (مرقس ١٤ : ٦١)

القطار يجري، يجري، يجري...، ومن حولي القوم يضحكون، يقهقهون، وقلبي يودّ التقيّؤ،

وجسدي يودّ النوم. وأُغمض عينيّ.

«أهكذا لم تستطيعوا أن تسهروا معي، ساعةً واحدة؟» (متّى ٢٦ : ٤٠)

العتمة تخيّم على هيروشيما.

# ها قد مثلنا أمامك، يا ربّ، كي نستجمع قوانا

ها قد مثلنا أمامك، يا ربّ،
لاهثين، خائري العزيمة، فاقدي الرجاء.
مُتنازَعين دائمًا بين رغباتنا اللامحدودة، وحدود طاقاتنا،
مدحورين، مقهورين، مضطربي الأعصاب، منهكين.
ها نحن أمامك، يا ربّ، هادئين أخيرًا، وجاهزين،
ها هو ذا وجع خيباتنا، وها هو ذا خوفنا من أخطاء خيار التزاماتنا،
ها هي ذي خشيتنا من التقصير في العمل، ها هو صليب حدودنا.
أَعطِنا أن ننجز ما يترتّب علينا إنجازه، غير راغبين في الإسراف ولا في عمل كلّ شيءٍ،
بل عاملين بسكونٍ وببساطةٍ، متواضعين في بحثنا، وفي توخّينا الخدمة.
وساعدنا، خاصّةً، على لقائك في غمرة التزاماتنا،
فوحدة عملنا هي أنت، يا ربّ،
هي حبٌّ واحدٌ، خلال كلّ ما نحبّه، ومن خلال جهودنا كلّها.

أنت، أيّها النبع، ويا مَنْ كلُّ شيءٍ يصبّ فيه.
ها نحن ماثلون أمامك، يا ربّ، لكي «نسترجع قوانا».

# يا ربّ، كم سيكون سهلاً....

يا ربّ، كم سيكون سهلاً العيشُ مع قومٍ مطيعين، تابعين، منفّذين،

قومٍ يستسلمون للعون، ولإغداق العطاء، وللإنقاذ!

من أجلهم سأفعل كلّ شيءٍ، يا ربّ، سأكون طيّبًا، متفانيًا،

سأكون مفيدًا، ضروريًّا، لا غنى عنّي.

قد يسعدون، إذا هم ارتضوا أن يتوكّأوا عليّ، وأن يثقوا بي.

إذا ارتضوا.... التخلّي عن أن يكبروا بأنفسهم، من أجل أنفسهم،

وأن يكبروا جماعيًّا مع إخوتهم.

يا ربّ، ما أقسى قبولي بأن ينهضوا، وبأن يفكّروا بأنفسهم، من أجل أنفسهم،

ويكافحوا،... ويصارعوا، ويقاوموني!

وهذا ما أنت تطلبه منّي: أن يصبحوا رجالاً، مسؤولين، واقفين..

وليس هذا بالأمر اليسير، فأنا أوثر أن يظلّوا قاعدين،

وأن أحملهم....

ساعدني، يا ربّ، أن أقبل، بكلّ قواي، وأمامك،

أن يكون الرجال رجالاً.

# الغصن الميّت

الغصن الجافّ، الذي لن يحمل، من بعدُ، أبدًا، أوراقًا، ولا أزهارًا ولا ثمارًا،

الغصن الذي هجرتْه الحياة هجرانًا أبديًّا، ما زال لديه سانحةٌ رائعةٌ،

سانحة أن يُلقى في النار، فيصبح ذاك الذي كان عديم الجدوى، نورًا وحرارةً لأهل البيت.

في هذا المساء أُقدّم لك، يا ربّ، أغصان يومي الميّتة،

عارفًا أنّها ستتحوّل في نار **حبّك**.

ولكنَّني، وا أسفاه، في مساء الأيّام العاصفة،

غالبًا ما أترك أغصاني الميّتة تتلف على الأرض وتتعفّن.

# النظر

يا ربّ، ها إنّي، الآن، أهمّ بإغماض جفنيّ، ففي هذا المساء أكملتْ عيناي خدمتهما،

وسينكفئ نظري داخل نفسي، بعد أن تنزّه، سحابة النهار، في بستان البشر.

شكرًا، يا ربّ، لعينيّ، تيْنك النافذتيْن المشرعتَيْن على المدى الرحيب،

شكرًا للنظر الذي يحمل نفسي مثلما يحمل الشعاع السخيّ نور شمسك وحرارتها،

أرجوك، في آناء الليل، أن تكون عيناي، عندما أفتحهما غدًا للصباح الصافي،

متأهّبتين لخدمة نفسي وإلهها.

يا ربّ، اجعلْ عينيّ صافيتين، وأن يشيع نظري المستقيم جوعًا إلى الطهارة،

وألاّ يكون أبدًا نظرًا خائبًا، محبَطًا، يائسًا.

ولكن فليُحسن الدهشة، والإعجاب، والافتتان، والتأمّل.

هبْ عينيّ حسنَ الإغماض لكي تشاهداك في صورتك المثلى،

ولكن لا تسمح بأن تُشيحا عن العالم، خوفًا منه.

اجعل نظري حادًّا، عميقًا، يستجلي حضورك في العالم،
ولا تسمح أبدًا لعينيّ أن تعميا عن بؤس البشر.
يا ربّ، فليكن نظري صافيًا، ثابتًا، ولكن فليُحسن الرأفةَ،
ولتكن عيناي قادرتين على البكاء.
ولا تسمح لنظري أن يُلطِّخ بالقذارة ما يلمسه، ولا أن يشيع الاضطراب،
بل أن يكون عامل تهدئةٍ، ولا أن يكون عامل حزنٍ، بل أن يبثّ الفرح،
وألاّ يُغوي بقصد الإيقاع في الأسر، بل فليدعُ ويجتذب إلى تخطّي الذات.
وليزعج الخاطئ لأنّه يتعرّف فيه نورك، ولا يكن ملامةً إلاّ بغية التشجيع،
وليُجْرِ نظري انقلابًا روحيًّا لأنّه لقاءٌ، لقاءُ اللّه.
وليكن نداءً، دويّ مدفعٍ، يستنفر الجميع عند عتبة منزلهم، لا بسببي يا ربّ،
بل لأنّك أنت ستمرُّ أمامهم.
ولكي يكون نظري كلَّ هذا، أهبك نفسي، مرّةً أُخرى، يا ربّ،
وأهبك جسدي، وعينيّ، كي، عندما أنظر البشر، إخوتي،
تكون أنت من يرمقهم، ومن خلالي، يومئ لهم.

# ضمَّني بشدّةٍ وقال: «إنّي أعبدك»

إنّه ولدٌ صغيرٌ، يا ربّ، ولدٌ مهجورٌ، تمنحه الدفءَ، في منزلها، أُسرةٌ محِبَّةٌ.

لقد دمغه ماضي ألمه، وبات محيّاه صرخةً طويلةً تستدعي الحنان.

حاولتُ رمقَه، افترضتُ أنّك كنت أنت سترمقه،

ابتسمتُ له، وأصغيتُ إليه، وما هي سوى لحظاتٍ حتّى تلاقينا،

وفجأةً قفز نحو ذراعيّ المشرعتَيْن، وضمَّني بشدّةٍ، قائلاً: «إنّي أعبدك».

وبمثل اندفاعه، أَجبته: «أنا أيضًا».

كانت أُمّي تردّد على مسامعي: «اللّه وحده يُعبد»،

ولست أدري لمَ تذكّرتُ قولها، في تلك اللحظة.

ولكنّني، فيما أُصلّي هذا المساء، أجرؤ على التفكير، أنّ الولد من خلالي،

وأنا من خلاله، معًا، اكتشفنا ولمسنا شيئًا منكَ.

فأنت تتألّم معه، ومن خلاله، يا ربّ، وصرخته هي صرختك التي يُخيّل إليّ أَنّني سمعتها هذا الصباح.

يا ربّ، أودّ أن أركع أمام قدمي الولد المصلوب، مثلما أركع أمام الصليب،

ولكنّني أودّ، أيضًا، أن ينسلخ هذا الولد عن الخشب الميّت حيث صلبه الشرّ،

وأن يكتشف ويلمس بين ذراعيّ اللتين يسكنهما الحنان، شيئًا من حبّك.

كم رغبتُ، يا ربّ، لمّ شمل كلّ كياني، كي أنطلق نحو الآخرين، مغتنيًا بكلّ حياتي،

رافضًا الحبّ بعقلي وحده، فما حبّ العقل إلاّ جوابٌ جافٌّ على وصيّة الحبّ،

وخاشيًا الحبّ بمشاعر قلبي وحدها، أو بجسدي المسرف في الطمع.

آزرني، يا ربّ، على لمّ شمل ما هو مبعثرٌ فيّ، وعلى توحيد قواي، كي أُقدّم للجياع

لا بضع مبادرات محبّةٍ، محكمة التنظيم، بل قلبي الحيّ، غذاءً لهم.

ساعدني على الانفتاح، كلّيًّا، على حبّك الأَخويّ، عساهم، إذ يتناولون حياتي،

يتناولون شيئًا من حياتك.

فأنت، يا ربّ، لم يعد لك ذراعان تضمّ بهما أولاد الأرض، ولاسيّما الذين يُبعَدون،

مثلما كان التلاميذ، قديمًا، يُبعِدون، الأولاد الذين يعترضون طريقك.

ولم يعد لك ركبتان تُجلسهم عليهما، وعينان ترمقهم بهما،

وكلماتٌ تحدّثهم وتضحكهم بها،

ولكنّك، ويا للمعجزة! أردت أن تحتاج إلينا، أن تحتاج من خلالي، إلى مرآةٍ زريّةٍ،

لتعكس بضعة أشعّةٍ من حنانك.

يا ربّ، إنّي، في هذا المساء، أشكرك لأنّني تمكّنتُ، في هذا الصباح،

من أن أُقدّم لك شيئًا من ذاتي الحيّة، وأن ألمس الولد الذي، في سرّه، يسعى إلى الاقتراب منك وإلى لمسك.

ولكنّني، يا ربّ، ألتمس صفحك،

لأنّني، غالبًا، هدرتُ، ما كان عليّ أن أهبه للآخرين، أو احتفظتُ به لنفسي.

فلئن كان يسهل عليّ، غالبًا، ألاّ أُمسك عن الولد شيئًا، فوا أسفاه، يشقّ عليَّ أن أجود على رفاق دربي، وأن أهبهم ذاتي،

مع أنّني أعرف، يا ربّ، أنّ كلّ إنسانٍ هو ولدٌ، لا يكفّ عن النموّ،

وأنّه، في صغره أو في كهولته، سواءٌ كان وجهه نقيًّا أو مشوّهًا،

فإنّما هو ابن الله الذي يلتمس حنانه.

# إنّك تعقّد حياتي، يا ربّ

يا ربّ، أنت تعقّد لي حياتي، حقًّا.

فوصيّتك: «أَحبب الربّ إلهك»، كانت سهلة الاتّباع، لو لم تقرنها بوصيّةٍ أُخرى مماثلةٍ لها: «أن نحبّ إخوتنا»، أن نحبّهم جميعهم، وفي كلّ وقتٍ.

كنتُ أَظنّ أنّني مسيحيٌّ صالحٌ، محبٌّ لقريبي، وكنتُ موضع تقديرٍ،

أُعَدُّ فائق الجاهزيّة، والعطف، والتفاني.

وها أنت تقول لي إنّ هذا غير كافٍ، بل هو ربّما، أحيانًا، زائفٌ.

شاقٌّ عليّ، يا ربّ، أن أُحبّ القريب الذي أراه،

وأكثر مشقّةً أن أُحبّ من لا أراه، وأن ألتزم إلى جانب إخوةٍ لستُ أعرفهم،

ولا هم يعرفوني، وأن أُكافح معهم، من أجلهم، ضدّ أنظمةٍ وفي سبيل أنظمةٍ لا تمثّلهم،

ولكنّهم يشيّدونها ويدمّرونها.

إنّني أوثر جريحي الصغير، الذي ألتقيه على دربي المؤدّي من أريحا إلى أورشليم،

والذي أُجيد العناية به، وإحاطته بالدلال، وشفاءَه.

ولكنّ هذا الدرب المؤدّي من أورشليم إلى أريحا، قد تمادى طولاً حتّى تخوم العالم،

وها إنّ جموعًا غفيرةً تلتقي وتتشابك، تشمل البشريّة، وتجتاز الزمن.

وأنا على دربي الصغير، أسير خطوةً خطوةً، ممسكًا أخًا بيدٍ، وآخر باليد الأُخرى،

ممعنًا بالبطء، وبالصِغَر، بحيث أعجز عن محبّة كلّ إخوتي.

عليّ الالتحاق بجيش المتصارعين، والذين، من خلال منظّماتهم، وحركاتهم،

واجتماعاتهم، ومساعيهم، ومعاركهم، يحاولون، بمشقّةٍ، بناء عالمٍ، حيث يستطيع الإنسان المحرّر أن يحبّ، أخيرًا.

ها أنا ذا جاهزٌ، يا ربّ، من أجلك، معهم،

ها أنا ذا جاهزٌ، يا جموع إخوتي الذين لا أشاهد وجوههم.

## عفوك، يا ربّ، من أجل جميع المعاقين

يا ربّ، في هذا المساء، أستصفحك عن جميع البشر الذين أُعيق نموُّهم،

لأجل جميع الأقزام، والمقعدين، والمشوّهين، والممسوخين،

من أجل جميع من أُجهض كيانهم، وخاب فيهم حبّك الأبويّ.

أستصفحك عن جميع المستسلمين للسبات، أو الذين نال منهم الشلل، والكبح،

لأجل من سُدّت آفاقهم، الذين جمّدهم الاعتياد، وثُبِّطوا، واشمأزّوا،

الذين أمسوا يصدفون عن النموّ، ويجهلون السبيل إليه، ويفقدون الرغبة فيه،

ويعزفون عن كلّ جهدٍ، وينسحبون من معركة الإنسانيّة الشاقّة.

وأستصفحك، على نحوٍ خاصٍّ، من أجلي، يا ربّ،

فأنا أمرّ بهؤلاء المعتلّين، الجرحى، الأسرى، ولا أراهم،

أو لا أدنو منهم: «رآه وعبر...»

ولا أوفّر لهم سانحةً للاستيقاظ، ولاستعادة الحياة، وللعودة إلى ساحة الكفاح.

أعطِني أن أبقى، كلّ يومٍ، جالسًا عند مثابة البئر، بئر دربي،

متعبًا، ربّما، ولكن دائم التنبّه لعابر السبيل الذي يسأل لنفسه ولإخوته:

«أعطِني لأشرب»

عفوك، يا ربّ، فما أكثر الذين أدعهم نيامًا!

# يا ربّ، إنّي في حالة صيرورة

من أنا، يا ربّ، ولمَ أُقاسي مذاق اللامكتمل؟

ولمَ هذا الانطباع بذرع الطريق، بلا هوادةٍ، وبالسير المتواصل،

عوضًا عن الكيان المكتمل، الثابت، الوطيد، المتمكّن، الذي يُشيع الاطمئنان،

ويعفيني من مواصلة الجهد؟

في داخلي صورة اللّه، التي يتوجّب عليّ إبرازها بحرّيّةٍ، خطوةً خطوة،

من خلال صفاقة الرتابة اليوميّة،

إنّني في حالة صيرورةٍ... وهكذا هم جميع المحيطين بي،

وهذه البشريّة جمعاء، تلك الجموع التي تسعى، متألّمةً، صوب وحدتها.

إنّي أعبدك، يا اللّه، أيّتها الموهبة الطاهرة، ويا أيّها الحبّ الصافي،

وأتأمّلك، بصفتك كلّ ما لي، وهدفي الأوحد.

يا ربّ، اجعل حياتي بأكملها، عطاءً، واجعل ألاّ يكون الآخرون لي غرباء، بل إخوةً،

فكلّ انفصامٍ عنهم هو تقهقرٌ، وكلّ جسرٍ ممدودٍ هو تقدّمٌ،

وكلّ انكفاءٍ على ذاتي هو إعاقةٌ لنموّي، وهو «لا كينونة»،

وكلّ عطاءٍ هو اجتياز مرحلةٍ نحو ازدهار «المزيد من الكينونة»

يا ربّ، تحت نظرك، ينبغي أن أكون على درب الآخرين،

داعيًا إيّاهم إلى وهب ذواتهم،

مسديًا لهم الخدمة الجلّى،

متمثّلةً في مساعدتهم على أن يصبحوا «صورة اللّه»، وإلهًا في ابنك يسوع المسيح.

# افتح عينيّ، يا ربّ

يا ربّ، أودّ أن تمنحني عينين جسيمتين أرى بهما العالم،

فأنا أنظر، يا ربّ، أنا كَلِفٌ بالنظر، ولكنّ عينيّ صغيرتان، مفرطتان في الصغر،

وعاجزتان عن مشاهدة ما وراء الأشياء، والبشر، والأحداث.

إنّي أرى الحياة وأجهد في تبيّن خفاياها، ولكنّني لا أرى منها سوى قشرتها القاسية،

والوحشيّة أحيانًا.

الحبّ يومئ لي، ولكنّني لا أرمق إلاّ بضع زهورٍ وثمارٍ، وأسهو عن النسغ.

أتألّم وراء زجاج نافذتي الصفيق، وأصطدم بحدودي التي تجرحني، أحيانًا، جرحًا موجعًا،

عندما يتصاعد من قلبي ضبابٌ، فتغشى الظلمة دربي.

يا ربّ، علامَ جعلتَ لنا عيونًا تعجز عن مشاهدتك، وعن تبيّن حياتك، في ما يتخطّى الحياة،

وتبيّن حبّك في ما وراء الحبّ؟

يَخيّل إليَّ، أحيانًا، أنّني ألمح بصيصًا، وحينئذٍ، على نحوٍ سرّيٍّ، تولد في قلبي

كلماتٌ أجمل، قليلاً، من الكلمات المألوفة، كلماتٌ ترقص، يدًا بيدٍ،

جاهدةً في التملّص من قفصها المذهّب.

إنّها تطير من شفتيّ، وأنا أجهد في التقاطها، لكي أحدّث نفسي بما أستشفّ،

وبما أُحسّ، وبما أدنو منه وأعجز عن بلوغه.

ولكنّ الكلمات هي أيضًا عصافير مفرطة الضآلة، وأنا عاتبٌ عليها،

لأنّها لا تعرف أن تنشد لي وللآخرين نشيد اللانهائيّ.

وحينئذٍ أرتضي، أحيانًا، أن أُغمض عينيّ طويلاً، فألمح، في غور ليلي،

قليلاً من ذلك النور الذي يخفيه عنّي النهار، بعناد.

وحينئذٍ أرى من غير أن أُشاهد، وأومن.

ولكنّك، يا ربّ، وهبتني عينين كي أرى إِخوتي، وقدمين كي أخفّ صوبهم،

وأطأ معهم أرضًا صلبة.

فهل بوسعي، يا ربّ، أن أسير مغمض العينين، رافضًا النهار؟

أبتغي أن أرى حين أنظر، ولكنّ عينيّ صغيرتان، بل مغرقتان في الصغر،

فلا تشهدان الماوراء.

فهبني، يا ربّ، عينين جسيمتين أرى بهما العالم،

وسّع عينيّ، يا ربّ، كي أقوى على الرؤية

أبعدَ من نور شمس المشرق، الذي يباغت الطبيعة بألوانه، وأبعدَ من إشراقة وجه فتاةٍ،

وأبعدَ من أنوار المغيب، حيث ترسم مُزَقُ ليلٍ، على الأرض، ظلال التغضّنات،

مثلما تفعل السنون على محيًّا لوّحته الشمس....

وأخيرًا لكي أرى بعض انعكاسات النور اللامحدود.

يا ربّ، افتح عينيّ، كي **أرى**...

ما وراء الوردة المشعّة، وبسمتها الصامتة، وما وراء اليد التي تقدّمها لي،

وما وراء القلب القابع خلف اليد، وما وراء الصداقة التي تتخطّى القلب.

وأخيرًا، لكي أرى بعض انعكاسات نور **حنانك**.

افتح عينيّ، يا ربّ، كي **أرى** في ما وراء أجساد البشر التي قد تستهوي أو تنفّر،

وفي ما وراء عيونهم ونظراتهم التي تشعل أو تطفئ قلوبًا مثقلةً بالغمّ، وقلوبًا ترقص فرحًا،

وفي ما وراء قلوبٍ من لحمٍ، أزاهير الحبّ، بل حتّى الأعشاب المجنونة، التي يسارع الناس

إلى وَصْمها بالخطيئة.

وأخيرًا، لكي أرى أبناء الله الذين يولدون، وعلى مهلٍ يكبرون، تحت أنظار الآب المفعمة حبًّا.

افتح عينيّ، يا ربّ، كي أرى ليلاً أبعد من الطرقات الصناعيّة حيث، تُفلت آلاف الأنوار،

من المصانع المضطرمة، وأبعد من أوشحة الدخان المتموّجة في الهواء فوق المداخن،

المصوّبة نحو سماءٍ لا تُطال، وأبعدَ من مدن الألفيّة الثانية، تلك التحف المقلقة، حيث يغيّر الإنسان،

بلا هوادةٍ، وجه الأرض.

وكي أرى، أخيرًا، خفقات قلوب ألوف العمّال، الذين، معك، يُكملون الخليقة.

افتح عينيّ، يا ربّ، كي أرى... في ما وراء تشابك الطرق البشريّة، تشابكًا يتعذّر حلّه:

طرقًا صاعدةً، وطرقًا هاويةً، طرقًا سريعةً، وأُخرى لا منفذ لها، إشاراتٍ حمراء، وإشاراتٍ خضراء،

طرقًا ممنوعةً، وسرعاتٍ محدّدةً، طرقًا صوب الشرق، أو الغرب، أو الشمال أو الجنوب،

طرقًا تؤدّي إلى روما، والقدس، أو إلى مكّة.

وأبعدَ من مليارات البشر الذين يذرعونها منذ آلاف السنين،

وأبعدَ من سرّ حرّيّتهم المذهلة التي تدفعهم، معملين الفكر، محبّين على دروب الحياة،

حيث تتشابك مصائرهم.

... ولكي أرى جلجلتك المنصوبة فوق العالم عند مفترقٍ مركزيّ، وأنت، منحدرًا من صليبك،

ذارعًا بقيامتك جميع دروب عمّاوس، حيث تزحمك الجموع ولا تعرفك،

ما عدا قلّةً يتعرّفونك من كلامك ومن كسر الخبز.

ولكي أستطيع، أخيرًا، رؤية جسدك الكبير يكبر، تحت نفحة الروح،

وعمل مريم الأُموميّ، حتّى اليوم الذي تمثل فيه أمام الآب، في نهاية الأزمان،

حيث تكون، يا يسوعي الكبير، بلغت قامة الرجال.

ولكنّني أعرف، يا ربّ، أنّه يتعيّن عليّ، في هذا العالم، أن أُشاهد ولا أرى.

وأن أظلّ، على هذه الأرض، حاجَّ اللامرئيّ، ولا عهد لقلبي بالاطمئنان.

وإنّي أعرف، أيضًا، أنّني، غدًا، فقط، باجتيازي أبواب الليل،

وبفضل رؤيتك كما أنت حقًّا، سأرى، بنورك، مثلما أنت ترى.

ما زال عليّ الانتظار، والسير في شبه ظلٍّ.

ولكن، إذا أنت شئتَ، يا ربّ، لكي لا تكون صلاتي، التي يشاركني بها أصدقاءُ كُثُرٌ...

مجرّد كلامٍ في الهواء.

أرجوك، متوسّلاً، أن تهبنا عيونًا جسيمةً

لكي ننظر العالم، ونستشفّ شيئًا ممّا وراءه،

ويشهد الناس الذين يروننا، أنّنا نراك.

وحينئذٍ، سيكون بمكنتنا، أخيرًا، أن نقول لهم:

«**إنّه هو، يسوع المسيح، نور العالم**».

# يا إلهي، أنا لا أُصدّق...

يا إلهي، أنا لا أُصدّق أنّك تجعل المطر يهمي، والشمس تتألّق وفقًا للطلب،

لكي ينمو قمح الفلاّح المسيحيّ، أو لكي ينجح «كرمس» الخوري، أو أنّك توجد عملاً للعاطل المؤمن،

وتدع الآخرين يبحثون، ولا يجدون أبدًا.

وأنّك تقي من الحوادث ولدًا اعتادت أمّه الصلاة، وتأذن بموت طفلٍ مفتقرٍ إلى أمٍّ تتوسّل السماء،

وأنّك تعطي البشر ما يأكلونه، استجابةً لطلبنا، وتدعهم ينفقون جوعًا، عندما نكفّ عن التوسّل.

يا إلهي، أنا لا أظنّ أنك «تقتادنا» حيث «أنت تشاء»، وأنّ ما علينا إلاّ الانقياد،

وأنّك «أنت ترسل» لنا المحنة، ولا حيلة لنا إلاّ في تقبّلها؛

وأنّك تقدّم لنا النجاح، وما علينا سوى شكرك.

وأنّك، حين تقرّر، «تستدعي» من نحبّ، وما علينا إلاّ الاستسلام.

لا، يا إلهي، أنا لا أُصدّق أنّك دكتاتورٌ طاغٍ، يتفرّد بامتلاك **كلّ السلطات**،

فارضًا مشيئتك، من أجل مصلحة شعبك، وأنّنا دمًى تحرّك خيوطها وفق رغبتك.

وأنّك تجعلنا نمثّل دورًا، حدَّدتَ أدقّ تفاصيل إخراجه منذ الأزل.

لا، لست أُصدّق، لم أعد أُصدّق.

بل أنا أعرف الآن، يا إلهي، أنّك **لا تريد ذلك، ولا تقوى على ذلك**.

لأنّك حبٌّ،

لأنّك أبٌ،

ولأنّنا أبناؤك.

عفوك، يا إلهي، لأنّنا طالما شوّهنا وجهك الجدير بالعبادة،

وزعمنا أنّ معرفتك وفهمك يقتضيان تصوُّرَك مزدانًا بقدرةٍ وسلطةٍ لا حدود لهما،

ولأنّنا، على غرار البشر، استغرقنا في الأحلام.

استخدمنا ألفاظًا صحيحةً، كي نفكّر فيك ونتحدّث عنك،

ولكنّ هذه الألفاظ انقلبت في قلوبنا الموصدة أفخاخًا.

فترجمنا القدرة، والإرادة، والقيادة، والطاعة، والحكم....الكلّيّة

إلى مفهومنا، مفهوم القوم المتكبّرين، الحالمين بالسيطرة على إخوتهم،

وحينئذٍ نسبنا إليك العقابات، والعذابات، والوفيّات،

في حين أنّك أردت لنا: الصفح، والسعادة، والحياة.

أجل، صفحك يا إلهي، لأنّنا لم نجسر على الإيمان بأنّك، بدافع حبّك،

أردتنا، منذ الأزل، أحرارًا، ليس فقط أحرارًا بقول نعم أو لا، لما سبق لك أن قرّرته لنا،

بل أيضًا أحرارًا في التفكير، والاختيار، والعمل، في كلّ لحظةٍ من حياتنا.

لم نجسر على الإيمان، بأنّ ابتغاءك هذه الحرّيّة لنا من الشدّة بحيث خاطرتَ بوجود الخطيئة،

والشرّ، والألم. وهي الثمار الفاسدة التي تؤتيها حرّيّتنا التي ضلّت سبيلها...

وخاطرتَ، أيضًا، بأن تفقد، في عيون الكثيرين من أبنائك، هالة عطفك اللامتناهي،

ومجد قدرتك الكلّيّة.

وأخيرًا، لم نجسر أن نفهم، أنّك، عندما أردت أن تعلن ذاتك لعيوننا إعلانًا نهائيًّا،

غشيت هذه الأرض: صغيرًا، ضعيفًا، عاريًا،

ومتّ على صليبٍ، مهجورًا، عاجزًا، عاريًا،

كي تُفهم العالم أنّ قدرتك الوحيدة هي قدرة الحبّ اللامحدودة، حبٍّ يحرّرنا لكي نستطيع أن نحبّ.

يا إلهي إنّي أُدرك، الآن، أنّك تستطيع كلّ شيءٍ إلاّ أن تحرمنا الحرّيّة!

شكرًا، يا إلهي، لهذه الحرّيّة الرائعة والمريعة، هديّة حبّك اللامحدود،

إنّنا أَحرارٌ! أَحرارٌ!

أحرارٌ بالسيطرة، شيئًا فشيئًا، على الطبيعة، كي نطوّعها لخدمة إخوتنا،

وأحرارٌ بتشويهها باستغلالها لمصلحتنا الذاتيّة فحسب،

أحرارٌ بحماية الحياة وتنميتها، بمكافحة الآلام، وكلّ الأمراض،

أو أحرارٌ بتبديد الذكاء، والطاقة، والمال، من أجل صنع أسلحةٍ، بها نتقاتل.

أحرارٌ بإعطائك أبناءً، وأحرارٌ بأن نرفضهم لك،

أحرارٌ بأن ننتظم من أجل تقاسم ثرواتنا، أو بأن ندع ملايين البشر ينفقون جوعًا

على الأرض الخصبة.

أحرارٌ بأن نحبّ، وبأن نكره، أحرارٌ بأن نتبعك أو أن نَزْوَرَّ عنك...

نحن أحرارٌ... ولكنّنا ننعم بحبٍّ لامحدودٍ.

إذن، إنّي أومن، يا إلهي، أنّك،

بما أنّك تحبّنا، وبما أنّك أبونا، تحلم لنا، منذ الأزل، بسعادةٍ أبديّةٍ،

وتخيّرنا دائمًا، ولا تفرض علينا أبدًا.

أومن أنّ روح حبّك، في صميم حياتنا، يبلّغنا، بأمانةٍ، **رغباتك** الأبويّة.

أومن أنّه في حومة تشابك الحرّيّات البشريّة الجمّ،

بوسع الأحداث الملمّة بنا، تلك التي اخترناها، وتلك التي لم نخترها، الجيّدة منها والسيّئة،

سواءٌ كانت منابع أفراحٍ، أو آلامًا مضنيةً، بوسع جميعها، وبعون روحك الذي يواكبنا،

وبفضل حبّك لنا، من خلال ابنك،

وبفضل حرّيّتنا المنفتحة على حبّك، أن تصبح بنا ولنا،

عامل حمايةٍ ورعايةٍ في كلّ حينٍ.

يا إلهي المحبّ العظيم، الموغل في التواضع، والكتمان، أمامي،

بحيث لا سبيل لي لبلوغه وفهمه، إلاّ باستغراقي في الصغَر.

هبني أن أومن، بكلّ قواي، بقدرتك الكلّيّة، الوحيدة:

قدرة حبّك الكلّيّة.

وحينئذٍ، سيكون بمكنتي، ذات يومٍ، مع إخوتي المتّحدين،

وأنا فخورٌ بكوني تبوّأت مركزي، إنسانًا حرًّا،

فائضًا سعادةً، أن أسمعك تقول:

«امضِ، يا ابني، إيمانك خلّصك».

# لمَ تتوارى، يا ربّ

لمَ تتوارى، يا ربّ؟ لمَ تتوارى في هذا النهار الكئيب،
حيث العمل يثقل كاهلي، ثقلَ العقاب.
لمَ تتوارى في منزلي المنهار، حيث يتوجّب عليّ أن أُصلح كلّ شيءٍ، مرّاتٍ عديدةً، كلّ يومٍ؟
لمَ تتوارى في حبّنا المهترئ، الذي بات يحاكي ماءً آسنًا، غاض نبعه؟
لمَ تتوارى في مرض جسدي، في هذا الألم الممعن في الوفاء مثل زوجةٍ ممجوجةٍ؟
لمَ تتوارى في صراعاتي البشريّة، عندما أُناضل مع إِخوتي ذودًا عن إخوتي؟
لمَ تتوارى، أنت يا من غشى أرضنا، وتكلّم بقوّةٍ، وبكى بكاءً حارًّا؟
لمَ تتوارى في الليل الذي يرهقني، الليل الذي يهبط، مساءً، عندما تنطفئ الشمس،
والليل الذي ينساب إلى قلبي، مثل موتٍ زاحفٍ؟
لمَ تتوارى، يا ربّ، لمَ؟ تكلّم يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ،
لمَ تتوارى.... في حين أنّك هنا؟

# اذكُرْ عهدك، يا ربّ

يا ربّ، في هذا المساء، مع كون الليل ساكنًا وصامتًا، أسمع العالم القلق

يطلق تنهّدًا عميقًا، والقوم يطلقون صيحةً مأسويّةً.

إنّهم لا يعرفون إلى من يوجّهون شكاواهم، يتلمّسون طريقهم ويتوهون،

ويثورون أو يستسلمون.

هب أُذني دقّة الإصغاء، ووسّع قلبي، لعلّني أستطيع تلقّي نداءاتهم،

وأُدرك معناها.

أَودّ أن أجمع كلّ نداءاتهم، وأقدّمها لك، توسّلاً جمًّا،

يتصاعد من الأرض صوبك، صلاةً تقول:

اذكُرْ، يا ربّ، عَهدَك، أظهر ذاتك. نحن محتاجون إليك، وأنت مخلّصنا.

ساعدني على لقائك، أنا من يحيا ويعمل، غالبًا، ولكأنّ لا وجود لك في قلبي،

وفي لحمي الحيّ، وفي سلوكي الإنسانيّ.

ساعدني كي أكون السائر، من يسير في الحياة، حيث يسير البشر،

معهم، واحدًا منهم، مشيحًا النظر عن قدميّ،
وغير متلمّسٍ طريقي كالأعمى، بل حادّ البصر مثل من يرى.
أودّ، أجل، يا ربّ، أَوَدّ، بكلّ قواي، أن يتحرّر الناس من قلقهم،
وهم يشاهدونني أسير بينهم سير مَنْ يحسن الرؤية.

# في قطار باريس، في قطار الحياة

يا ربّ، في قطار باريس يسود الحرّ،
مسافرون كُثُرٌ، ناعسون، مسترخون، وبعضهم يقرأون.
أحد جيراني يلهو بالكلمات المتقاطعة، وبعضهم يضجّون قارنين كلماتهم بقهقهاتهم.

أنا، أراقب المناظر التي تهرب خلفنا، قبل أن نتمكّن من السيطرة عليها،
هكذا هي الحياة. إنّي أحلم.

بعنايةٍ، اخترت مكانًا يوفّر لي الوحدة، فمن شأن من يجلس قريبًا منّي أن يعيق حركتي،
وإذا هو ابتسمَ لي، فسيكون عليّ الردّ ببسمة،
وإذا كلّمني، فيتعيّن عليّ أن أُجيب،
وها أنا ذا هنا، سجين جسدي، سجين رأسي، سجين قلبي.
أَرى الآخرين، ولكنّني لست راغبًا في التحديق إليهم،
أُريد أن أَبقى وحيدًا، ساكنًا.

سأشرع الآن بالقراءة، فلا يسوغ الإمعان في هدر الوقت.

ولكن ها إنّك تومئ لي، يا ربّ.

أنت، أيضًا، هنا، رفيق أسفاري كلّها، تواكبني متكتّمًا.

وأنا، على غرار عاشقٍ معتادٍ، ذهلتُ، مرَّةً أُخرى، عن حضورك الصامت.

أنت هنا، وبتؤدةٍ تفتح عينيّ، تفتح أُذنيّ، توقظني برقّةٍ،

مثلما يوقَظ ولدٌ ما زال راغبًا في مواصلة النوم.

ألا يسعك أن تدعني ساكنًا، يا ربّ؟

هل يتوجّب عليّ، بلا هوادةٍ، أن أرى الآخرين،

وأسمعهم، وأهتمّ بهم؟

وماذا عنّي؟ من يهتمّ بي، إن لم أهتمّ أنا بنفسي؟

وماذا عن كتابي؟ مذ شرعت بمطالعته، كنت راغبًا في بلوغ نهايته،

إنّه كتابٌ جيّدٌ، يا ربّ، ويوحي إليّ بأفكارٍ جيّدةٍ، ويسرّب إلى رأسي

خواطر تدور وتتقلّب، وتغذّي فكري،

ويلهمني مشاعر طيّبةً، تغذّي قلبي.

أؤكّد لك، يا ربّ، أنّني، بمطالعته، لا أهدر وقتي،

ولكنّني أعلم أنّني أهدر وقتي حين أُجادلك. إذ لا جدوى من الإلحاح، فأنت دائمًا محقٌّ.

لقد أطبقتُ الكتاب، وفتحتُ عينيّ، وأنت انتصرتَ، يا ربّ!

... لم أعد وحيدًا، ولكنّني فقدت السكينة،

ها هنا جيراني، وجيران جيراني، نزلاء مقطورتي، والقطار، والآخرون.

إنّهم أحياءٌ من لحمٍ ودمٍ، يضحكون ويتكلّمون، ويصمتون،

مثقلون بالأفراح والأكدار،

لي ألف كتابٍ مفتوحٌ، ولكلٍّ منهم فصله...

إنّهم هنا، يمتطون القطار عينه، ويقومون بالرحلة عينها،

يمضون معًا، بوتيرةٍ واحدةٍ، معًا، مدّة ساعتين، نحو الغاية عينها.

هكذا هو القطار، هكذا هي الحياة.

ولكن، يا ربّ، أليس رفاقي، هم أيضًا، مصابين بالعمى والصمم؟

أُصعدوا إلى القطار، ذات يومٍ، من غير أن يطلبوا،

وكثيرون منهم يجهلون وجهة الرحلة وغايتها، ويدور بهم قطار الحياة.

أَودّ أن أُخبرهم إلى أين نحن ماضون، وأنّ الطريق جميلٌ، حتّى إن كان شاقًّا

وأنّه سيكون أقلّ مشقّةً، إن كنّا معًا، **متّحدين**.

أودّ أن أُخبرهم أنّنا لسنا وحيدين، لأنّك شئت أن تكون رفيق سفرنا،

ولكن علينا أن نعرفك، وأن نتعرّفك، وأن نتبعك، فأنت قلت:

«**أنا الطريق**»

والربّ يقول:

ثق يا صغيري، أنا اليوم بحاجةٍ إليك، بحاجةٍ إلى عينيك المفتوحتين،

وإلى قلبك المشرع.

كنتُ بحاجةٍ إلى قول «نعم»، حتّى لو هو صدر عنك وحدك،

كي أتولّى المقاليد، وأقود القطار،

ولكي لا تكون الرحلة رحلةً إلى لامكان.

من دواعي الأسف، أنّ مسافرين كُثُرًا

في قطار باريس، وفي قطار الحياة،

قد قاموا بهذه الرحلة ولم يلتقوني،

فكم من الأنفاق قد أنشأتم على وجهات البشر،

حتّى باتوا يسافرون في العتمة، ولا يرون بعضهم بعضًا، ولا يرونني!

ونوركم، أنتم، يا أصدقائي، وتلاميذي،

هو، في غالب الأحيان، مخفيٌّ، لا يُنير.

ولكن، بما أنّي جئتُ وشاركتُهم القطار، وبما أنّك، أخيرًا، ارتضيت أن تراني،

وأن تراهم، وتتقبّلهم، وأن تقدّمهم لي،

فإنّي أقول لك، إنّ كثيرين سيتعرّفوني، بفضل نوري.

وعندما يبلغون المحطّة، سيهتفون مذهولين:

«ها هو هدفنا!»

وعندما سيشاهدوني سيصيحون: «أنت من كان معنا!»

في قطار باريس، في قطار الحياة،

أنا معهم، ولكنّي **بحاجةٍ إليك**.

# نشدتك، يا ربّ

بحثت عنك، يا ربّ، في التاريخ القديم، متأمّلاً ذكريات مجيئك إلينا،

وبحثت عنك في أعالي السماء، ظانًّا أنّك رجعت إليها، وغادرتنا.

ولكنّني بالتفاتة رأسي صوب الأمس، وتصويب قلبي نحو السماء، فقدتُ لقاءك.

فأنت معنا، يا ربّ، **حيًّا، اليوم،**

متمّمًا الرسالة التي أوكلها إليك الآب،

وداعيًا، كلّ يومٍ، جميع البشر، إخوتك،

إلى اتّباعك، وحبّك، عبر الاتّحاد بك،

من أجل تكوين شعبٍ كبيرٍ، وجسدٍ كبيرٍ،

نكون نحن أعضاءه.

بحثت عنك، يا ربّ، ولم أعثر عليك،

ولكنّي، الآن، أُدرك، أنّك أنت من يبحث عنّي،

راغبًا في الانضمام إليّ.

على طريقي تصدفني، ولا تكفّ تومئ لي.

أعنّي، يا ربّ، أنا من يدّعي معرفتك،

كي أتعرّفك، وأسير بإثرك،

**اليوم، حيًّا**

(من كتاب «المسيح حيٍّ»)

# حرصي على التظاهر

يا ربّ، أسألك، في هذا المساء أن تعتقني نهائيًّا، من حرصي على التظاهر

اغفر لي اهتمامي المفرط بالانطباع الذي أعطيه للغير، وبتأثيري فيهم، وبرأيهم فيّ، وبما يقولون عنّي.

اغفر رغبتي في التشبّه بالآخرين، ناسيًا أن أكون ذاتي،

اغفر لي حسدي لخصالهم، مغفلاً إنماء خصالي.

اغفر لي الوقت الذي هدرتُه في تمويه شخصيّتي، مغفلاً بناء شخصي.

وهبني أن أتخلّى عن الغريب الذي كنتُه، لكي أُولد، أخيرًا، على ذاتي.

إذ إنّه سيتعذّر عليّ أن أجد ذاتي، يا ربّ، إن أَبَيْتُ أن أفقدها.

# وحدةٌ صقيعيّةٌ

مرَّةً أُخرى، أنا وحيدٌ هذا المساء، وبعد أن توقّفت برهةً عن العمل، تدفّقت ريح الوحدة الجليديّة في حيّز الوقت الحرّ.

لست محتاجًا إلى أقوالٍ، بل أحتاج إلى صمتٍ. وجسمي لا يحتاج إلى ملاطفةٍ، فأنا مرتاحٌ في جسدي. وجوعي أعمق من ذلك. إنّي أحتاج إلى حضورٍ صامتٍ محبٍّ ومحبوبٍ،

إلى أحدٍ بقربي، معي، حتّى إن لم يكن حاضرًا من أجلي فقط.

أنا أعلم، يا ربّ، أنّك هنا، ولكنّي أعرف ذلك بعقلي وإيماني، ولست أعرفه بعينيَّ، وأُذنيَّ، وأصابعي. وما عساني أفعل بحضورٍ هو لكلّ كياني غيابٌ.

ليت لي حاسّةً سادسةً تمكّنني من «لمسك»!

علامَ تتوارى، يا ربّ؟

أجل أعرف جوابك، ولكنّه جوابٌ لرأسي، وفي هذا المساء قلبي المكوّن من لحمٍ ودمٍ هو الذي يسأل.

# فراغ

لقد تكلّمتُ، وتكلّمتُ، وأسهبتُ في الكلام (في أثناء رحلةٍ). وها أنذا، في هذا المساء، فارغٌ.

أخيرًا، أمسيت وحيدًا، وحيدًا في غرفةٍ صامتةٍ. أُنصت إلى الصمت، أشربه جرعاتٍ كبيرةً،

والصمت يتسلّل إلى داخلي، ويستقرّ فيَّ. وينتابني ما يشبه شعورًا مادّيًّا أنّه يخترق كلّ مسامّ جلدي،

ويسري في جسدي، ويتغلغل إلى أغوار قلبي وفكري، سالكًا كلّ دروب كياني حتّى أعماق ذاتي،

وشيئًا فشيئًا يلمّ شمل وحدتي، يعيد جمعي، فأتخشّع، مدركًا أنّ الله انساب،

بلا ضجيجٍ، في هذا الصمت. فألحق به، وأرمقه.

يا إلهي الصامت الذي يسكنني. إلهي الذي لا يني يصنعني ويعيد صنعي، أُرحّب بك.

لقد تكلّمت عنك. ولكن ألم أُفرط في الكلام؟

أنفقتك بلا حسابٍ، أفلم أُصدر شيكّاتٍ بلا رصيدٍ؟

لا بدّ من الصمت، والاستغراق في الصمت أمامك، لكي يحقّ لنا التحدّث عنك.

فهل أنا أتحدّث عن اللّه، أو إنّي أُثير من الضجّة في أفكار الناس ومشاعرهم بحيث لا يستطيعون سماع همس **صوتك**؟

## أبانا

يا أبانا الذي في السماوات، أظنّ أنّك ترمق باهتمام، أبناءكَ الذين يقصدون المدرسة كلّ يومٍ:

أظنّ أنّك تفرح عندما يُحسنون التعلّم والدراسة، وينجحون في الامتحانات ويبلغون ملء ازدهارهم،

أظنّ أنّك، منذ الأزل، بحبّك اللانهائيّ، ترجو أن تراهم وقد بلغوا، جميعهم، شخصيّات أرفع مستوًى من النموّ الكلّيّ، في ابنك يسوع المسيح.

فعلى غرار جميع الآباء، ترغب في الافتخار بأبنائك الأعزّاء، ولأنّ نجاحهم الحقّ يمجّدك إلى الأبد.

ولكنّني اليوم، أعرف، أيضًا، أنّك كلّفتنا جميعنا، مجتمعين معًا، بمهمّة تنميتهم، كي تجعل منهم، «الواقفين على أرجلهم» كما حلمتهم،

والقادرين على أن يتبوّأ كلّ منهم مكانه في بناء العالم الذي أوكلته إلينا.

وا أسفاه! إلهي، بجريرتنا –وهذا اعترافٌ منّي– كثيرون منهم سيظلّون غير مكتملين، ناقصي النموّ، مشوّهين، هنا وهناك، وفي كلّ مكانٍ.

وهم أولادٌ أنجبناهم، وكان علينا تربيتهم.

ولكمْ أنت تتألّم حيال كلّ هذه الثروات الدفينة، غير المستثمرة، في كلٍّ منهم، ففي كثيرين منهم بذورٌ أنت غرستها، ولن تقوى على الإثمار!

يا أبانا الذي في السماوات

أنا من يبحث غالبًا، «بين الغيوم» عن رغباتك كي أُحقّقها، ألتمس، اليوم، قوّة الكفاح لكي «تكون مشيئتك» في جميع أبناء العالم، فيقصدون المدارس، ويتعلّمون، وينمون، ويزدهرون.

فقد بتُّ أعرف أنّ ما تنتظره، في ديارك، ليس «نفوسًا جميلةً»، بل بشرًا أحرزوا نجاحًا كاملاً في كلّ أبعادهم البنويّة.

# فلْأسمح له بالوجود

يا ربّ، ها إنّ الآخر أمامي، فساعدني على أن أنظره «هو»، متخطّيًا غريزة الجذب أو النفور، وآرائي وآراءَهُ، وسلوكي وسلوكه.

واجبي هو أن أسمح «له» بالوجود أمامي، كما هو في كيانه العميق،

لا إكراهه على الهجوم، والدفاع، والتمثيل..

واجبي أن أكون «أمامه» فقيرًا، لا أن أسحقه، وأُهينه، وأُكرهه على الاعتراف بالجميل.

فهو فريدٌ، يا ربّ، وإذن غنيٌّ غنًى لا أملكه أنا،

وأنا الفقير الواقف عند الباب مجرّدًا، عاريًا،

لكي ألمح، في أعماق قلبه، وجهك، يا يسوع قاهر الموت،

يا من يدعوني مبتسمًا.

# كيف علينا أن نصلّي اليوم؟

**كتب ميشيل كواست في الفصل الأخير من كتابه «المسيح حيّ»:**

ليست الصلاة أمرًا سهلاً. يقول الإنسان المعاصر إنّ ما يزعجه، في الصلاة، هو شعوره بأنّه «يحدّث الفراغ». ومن المحقّق أنّنا من أجل الذود عن تفوّق الله، غالبًا ما عزلناه عن الحياة، وأقمناه فوقها، في سمائه، وطلبنا من الناس، في سبيل الاتّصال بالله، أن يقطعوا علاقاتهم بالأرض، ويرفعوا عيونهم نحو السماوات. وقد حاولوا ذلك، فأُنهك الكثيرون، وعزفوا عن المحاولة، لأنّهم لا يرون الله الذي يحدّثونه، ولا يسمعون جوابه لهم، ويصطدمون بصمت الليل.

إنّنا بتجريدنا لله، جرّدنا الصلاة أيضًا. وبتنا نحيا وكأنّ يسوع المسيح لم يأتِ. ولا جرم أنّه علينا ألاّ نتلو: «أبانا الذي في السماوات»، إلاّ بعد أن نكون قد التقينا يسوع المسيح، إن صحّ التعبير. فيسوع هو الذي يعلن لنا عن الآب، ويقودنا إليه، وهو الذي يعلّمنا التحدّث إليه. وبمنأًى عن يسوع المسيح لن نعثر على الدرب إلى الله.

«الله لم يرَه أحدٌ قطّ». ولكنّ بشرًا رأوا يسوع، ولمسوه، وسمعهوه. وبوسعنا، في إثرهم، التقاؤه، والإصغاء إليه، والإجابة على دعواته.

يسوع الحيّ هو عندنا، حيٌّ، إنّه يتحدّث، وهو الذي يبادر إلى الحديث، وعلى الإنسان أن يردّ عليه. والصلاة هي، قبل كلّ شيءٍ، الإجابة على أقوال الله الذي يخاطب الإنسان، من خلال يسوع المسيح الحيّ.

اللّه يكلّمنا من خلال الكتاب المقدّس، وعلى نحوٍ خاصٍّ من خلال الإنجيل. ويكلّمنا، أيضًا، من خلال الحياة والأحداث... الحبّ الحقيقيّ يبدأ بالتعارف. والتعارف يتمّ بالحوار. وعلينا توثيق معرفتنا بيسوع الناصريّ، بمحادثته، وهذه المحادثة سنتمكّن منها، بفضل الإنجيل.

علامَ، عندما نتحدّث عن الصلاة، يخطر ببالنا تلقائيًّا أن نسأل اللّه شيئًا، ونلتمس رضاه، مثلما ننشد في العالم «علاقات» رفيعة الشأن، فننال ما نرغب فيه، وتتحقّق **مشيئتنا**؟

الصداقة مجّانيّة، إنّها تبادلٌ عميقٌ. كلٌّ «يعلن» عن ذاته لصديقه، وهكذا يتّحدان كلاهما. وحينئذٍ فقط لا يعود بوسع أحدهما أن يرفض للآخر شيئًا. في الإنجيل يعرّفنا يسوع عن ذاته، ويسفر عن أعماق نفسه. والصلاة هي، أوّلاً، الاستجابة له ببساطةٍ ونقاءٍ، وهي التحدّث إليه، واستفساره عمّا يستغلق علينا، والإعجاب به، وشكره. وهي أيضًا التعريف عن ذواتنا، برواية حياتنا ومقارنتها بحياته.

عندما ينقطع الحديث بين صديقين تتردّى صداقتهما وتموت. وأخطر ما في الأمر هو عندما يواصل أحدهما، الذي ظلّ وفيًّا، التواصل مع صديقه، ولا يتلقّى منه جوابًا. فتحلّ اللامبالاة والقطيعة: «أنا لم أَعد أُكلّمه»... أليس هناك كُثُرٌ يزعمون أنّهم مسيحيّون، وقد انقطعت صلة حوارهم بيسوع، الذي ما انفكّ، مع ذلك، يحدّثهم من خلال الإنجيل؟ إنّها مغالطةٌ مأساويّةٌ، وخطيئةٌ مميتةٌ، فواجب من اتّخذ يسوع صديقًا ألاّ يدع هذه الصداقة تموت.

ويحدّثنا يسوع المسيح، أيضًا، من خلال الحَدَث. فما خلا دعواتٍ خاصّةً، مكان لقاء المسيح البديهيّ بالإنسان هو **الحياة**. وبالتالي فإنّ

بُعد الصلاة الثاني هو الحوار مع يسوع المسيح **في** الحياة. لا يقتصر المسيح على الاعتناء بكلّ لحظةٍ من حياة الإنسان، بل إنّه جزءٌ أساسيٌّ منها. إنّ حبّه حريصٌ على استيعاب وتكفّل كلّ شيءٍ، ولن يتمكّن من ذلك إلاّ بقدر ما نكون حاضرين، طوعًا، في هذه الحياة وفيه. لن يأخذ يسوع المسيح حياتنا ما لم نعطِه، نحن، إيّاها، وما لم نعقد معه حوارًا مستمرًّا، سائلينه تقويم حياتنا وتطهيرها، ومن جانبٍ آخر، مقدّمينها له لكي يشغلها بكاملها، ولكي يحياها معنا.

ينبغي أن تكون حياتنا كلّها صلاةً. وفي سبيل ذلك يجب أن نقدّمها له بجملتها، وعلينا، أيضًا، أن نكون أوفياء لمواعيد معه في لحظاتٍ خاصّةٍ. إنّ ممارسة إعادة النظر في حياتنا الشخصيّة، توفّر لنا سانحةً لذلك. وانطلاقًا من حدثٍ نختاره وننظر إليه بعين الإيمان، وبقيادة الروح القدس، سيكون بوسعنا عقد حديثٍ مع يسوع المسيح.

وسرعان ما تظهر عقباتٌ كبرى. فقد قيل لنا إنّ الإصغاء إلى اللّه يستلزم الصمت. والتزام الصمت هو غالبًا، مستحيلٌ، نفسيًّا، على الإنسان الحديث. فمن يتوقّف، اليوم، من أجل الصلاة، سرعان ما يغشاه ضجيج همومه اليوميّة، ورغباته، وإخفاقاته، وخواطره، وأحلامه. ولكن عليه ألاّ يُحبَط، بل عليه أن يبتهج، إذ إنّ يسوع المسيح، من خلال هذه العقبات، يعلّمنا أُسلوب الصلاة المتوجّب علينا اليوم.

وليُسمح لي، هنا، التنويه بالنجاح المدهش واللامتوقّع الذي لقيه كتابي «صلوات»، وقد انتشر منه أكثر من مليون ونصف مليون نسخة... واستخلاص العبرة من هذه الظاهرة. إنّ مجموعة هذه الصلوات المغرقة في البساطة، والمتحدّثة عن الحياة، تتجاوب مع حاجةٍ ملحّةٍ لدى مسيحيّين كُثُرٍ، كانوا راغبين في المثول بين يدي اللّه،

غير ساهين عن حياتهم، بل مقحمينها، بكلّيّتها، في صلاتهم، وكانوا مُتَنازَعين بين هذه الرغبة الجوهريّة وما كان يُغدَق عليهم من تعاليم ووصايا تقول: «انسوا همومكم كلّها، وأقيموا الفراغ، إلخ..»

علامَ يتعيّن على الإنسان المصلّي إيداع الحياة عند باب قلبه؟ إنّ الضجيج المدوّي فينا عندما نجهد في التوقّف أمام الله، هو اجتياح الحياة لميدان ضميرنا. كلّ الخواطر التي تراودنا، عندما نصلّي، حتّى أكثرها سخافةً، ليست شرودًا ينتزعنا من الله، بل هي دعواتٌ إلى إيداع كلّ حياتنا في الله، وإلى إيداع الله في حياتنا.

ينبغي ألاّ تكون الصلاة «ملاذًا» نفزع إليه تملّصًا من الحياة. بل، على نقيض ذلك، إنّ كلّ مسيحيٍّ في صلاته، هو سفير العالم أجمع، ولا سيّما سفير الأشخاص المحيطين به، سفير بيئته، والجماعات البشريّة التي ينتمي إليها. إنّه يمسك بين يديه ملفّ الحياة الجسيم، حياته وحياة إخوته، لكي يعرضه بين يدي الله الذي يصغي إليه.

لا داعي إذن، لطرد الشرود، بل الواجب، بالأحرى، هو تقبّل الحياة من أجل إعطائها لله. وإنّ أكثر ما يشغل بالنا بعنادٍ، هو ما يرتدي لنا الشأن الأكبر. وهو ما ينبغي إيداعه، على نحوٍ خاصٍّ، بين يدي الله الآب، بواسطة ربّنا يسوع المسيح: إمّا لكي نسأل عنه الصفح، أو لكي نقدّم عنه الشكر، أو لكي نلتمس عونه، وفي جميع الأحوال، لكي لا يُحوَّل هذا الشخص أو هذا الحدث، أو فلذة الحياة هذه، عن غايتها، بل لكي تزدهر ازدهارًا تامًّا في يسوع المسيح، وفقًا لرغبة الآب.

ولا نظنَّنَّ أنّ في ذلك استسلامًا، وضربًا من محاولةٍ لجعل الصلاة

سهلةً، بإلباسها مزاج النهار الراهن. لن تكون الصلاة، أبدًا، أمرًا سهلاً، لأنّها ستكون، دائمًا، جهدًا في سبيل التجرّد أمام اللّه. ولكن، عوضًا عن الكفاح الدائم من أجل «الكبح»، فلتكن **كفاحًا دائمًا من أجل «التقديم»**.

المسيحيّ الوفيّ لهذه الصلاة لن يتحرّر من همّ الحياة الطاغي، إذ قد يكون هذا التحرّر فشلاً، بل إنّ هواجسه الكثيرة ستتّحد في حزمةٍ موجّهةٍ، أكثر فأكثرو تلقائيّةً، صوب اللّه، في يسوع المسيح. إنّ الإنسان المصلّي لن ينتهي إلى ضربٍ من «الفراغ» الظاهر، أو إلى نوعٍ من «الفكرة المتسلّطة».. بل سيعقب، في ضميره، الذي ساده السلام، مسيرةَ الحياة الصاخبة والفوضويّة، تطوافٌ لكلّ هذه الحياة، وللأشخاص الذين صادفهم، ولمحيطه، وللعالم، ذلك الحجّ الطويل صوب اللّه، عبر يسوع المسيح، الذي عليه أن «**يوجز في ذاته أمور السماء والأرض، بتعاونٍ من الإنسان الحرّ**».

لاحقًا، وفقط لاحقًا، إثر مسيرة وفاءٍ طويلةٍ ومثابرةٍ، سيتهيّأ لبعض المسيحيّين المثول أمام اللّه، وقد اكتسبوا صمتًا داخليًّا سحيقًا. ولن يكون هذا الصمت ثمرة كبتٍ أو تخاذلٍ، أو هروبٍ أمام الحياة، بل المكافأة العادلة الممنوحة لمسيحيّين تمرّسوا من **اعتياد تسليم كلّ شيءٍ للمسيح، وعيش كلّ شيءٍ فيه على امتداد حياتهم**.

وحينئذٍ، مثل محبِّين عاشوا يوم مشاركةٍ مستمرّةٍ، وتواصلٍ كثيفٍ، يتسنّى لهم، في المساء، تبادل عطاء ذاتهم بلا ضجيجٍ، وبلا كلامٍ، وفي عناقٍ رقيقٍ، غير ناسين شيئًا من الحياة، بل بعد أن يكونوا قد حملوا كلّ شيءٍ، وأعطوا كلّ شيء.

# (٢)

# بذور حياة

# الحبّ يتخطّى الحبّ

الحبّ هو خفقان جناحيْ عصفورٍ في سماءٍ لا حدود لها،

بيد أنّ طيران العصفور هو أكثر من ذلك المخلوق الصغير، المترنّح في الأجواء،

وهو أكثر من جناحيه العاشقين اللذيْن تغازلهما الريح،

وأكثر من الفرح متعذّر الوصف، الذي يولد عندما يموت خفقان الأجنحة،

ويسبح الجسد الهانئ في عباب النور.

الحبّ هو نغم الكمان الذي يصدح مطلقًا للعالم نشيدًا.

ولكنّ نشيد الكمان هو أكثر من الخشب والقوس المكوَّنين من مادّةٍ صمّاء عزلاء،

وأكثر من أنامل الفنّان السارية فوق الأوتار.

الحبّ نورٌ على دروب البشر، غير أنّ النور الذي يهب ذاته هو أكثر من دعاباتٍ صباحيّةٍ،

تفتح عيون النهار، وأكثر من أشعّة النار التي تدفئ الأجساد،

وأكثر من ألف ريشةٍ حريريّةٍ، تلوّن الوجوه.

الحبّ ساقية فضّةٍ، تنساب صوب البحر،
ولكنّ الساقية الحيّة، التي تحثّ سيرها تارةً، وتتباطأ تارةً أُخرى،
هي أكثر من مجراها المضياف، ذلك الغمد الذي لا يؤوي سوى مياهٍ مضرّجةٍ بالحمرة،
تحت أنظار المغيب،
وأكثر من الإنسان القابع على الضفّة، ملقيًا طعمه، من أجل اصطياد ثمار النهر.

الحبّ مركبٌ شراعيٌّ مبحرٌ يشقّ الأمواج،
ولكنّ مسيرة المركب هي أكثر من مقدّمها المفتون الذي يقتحم اليمّ مستسلمًا أو مكافحًا
وأكثر من الأشرعة المرتعشة بفعل دعابات النسيم أو صفعات الريح،
وأكثر من يدي البحّار الملتصقتين بالدفّة، اللتين تلاحقان، بلا هوادةٍ، المحبوبة المتوحّشة.

**الحبّ يتخطّى الحبّ،**
**الحبّ** هو نفحةٌ لانهائيّةٌ تأتي من عالم آخر، وتطير نحو عالمٍ آخر،
الحبّ هو روح الإنسان الذي يعرف تلك النفحة ويتعرّفها،
إنّه حرّيّة إنسانٍ، تلتفت، بكلّيّتها، صوب تلك النفحة،
الحبّ هو تلبية الإنسان لدعوة تلك النفحة،
هو قلب الإنسان الذي يتفتّح كي يتقبّل هذه النفحة، ولكي يعطيها،

إِنّه جسد الإنسان الذي يتخشّع، ويتأهّب، بعد أن تسكنه تلك النفحة، وتخترقه، لكي يطير نحو الآخرين، نحو الآخر....

وفي نهاية المطاف، فليلتقِ كلّ ما تباعد، وليتوحّد كلّ ما انفصل، ولتنبجس حياةٌ جديدةٌ من الواحد الأحد.

# الولد

أيّها الولد، يا دماءً ممتزجةً، حيواتٍ ممتزجةً، وقلوبًا ممتزجةً،
رجلاً وامرأةً متّحدَيْن أبديًّا، ملتحمَيْن،مرتبطَيْن، في حبّهما الذي صار جسدًا.

أيّها الولد، يا تحفةً منقطعة النظير، يا كنزًا يتعذّر تقييمه،
يا نجمةً جديدةً مضاءةً في سماء الأرض،
وسط مليارات ومليارات من النجوم الضروريّة،
«أنت»، الكائن الفريد،
الذي لم يظهر قطّ، ولن يتكرّر ظهوره.

أيّها الولد، يا حبيب الإنسان، ويا مبارَك الله، يا رغبة الآب الأبديّة، التي تجسّدت،
عندما التقت رغبة الإنسان الحرّة، فأثمرت هذه الرائعة.

أيّها الولد، يا طفل الإنسان، يا ابن الله، يا عضو جسدٍ لم يكتمل،

يضحي مبتورًا بمنأًى عنك،

يا جسد البشريّة، يا جسد المسيح، الذي ما انفكّ ينمو في الأرض منذ فجر الأزمنة،

كي يرتقي حتّى السماء.

كيف استطاع الله، في جنون حبّه المستعصي على الإدراك،

أن يهب الإنسان هذه القدرة، ويُسيل في جسده النسغ، وفي قلبه الرغبة،

كي يستطيع معه، أن يخلقك، يا حياةً قشيبةً، يا نبعًا جديدًا، متفجّرًا على أرض البشر.

يا فجر نهرٍ جمٍّ،

مدعوٍّ ألى التدفّق حتّى الأبديّة!

# الحبّ

ليس الحبّ انبهارًا أمام جمال وجهٍ يشعّ نوره لناظريْك،

بل الجمال الحقّ هو انعكاس نفسٍ، والنفس تتخطّى ناظريْك، وتبحث عنها مرتعدًا.

وليس الحبّ افتتانًا بذكاءٍ حادٍّ منفلتٍ، يسكب، في كلماتٍ، آراءً من شأنها إرضاؤك، فقد يتألّق الذكاء بألف بريقٍ، من غير أن يكون ماسةً حقيقيّةً، مخفيّة في أعماق المحبوب.

وليس الحبّ تأثّرًا حيال قلبٍ يخفق من أجلك، أكثر من خفقانه لآخرين، ولا هو ذلك الإعجاب بأن تكون مختارًا، من غير أن ترى لهذا الاختيار سببًا يبرّر هذا الجنون، فقد يخفق القلب لآخر ويدعك نازفًا، باكيًا، وحبّك، أنت، ما زال حيًّا.

ليس الحبّ رغبةً في الاستحواذ والاستيلاء على ما ترغب فيه،

سواءٌ كان قلبًا، أو جسدًا، أو روحًا، أو جميعها معًا،

فالآخر ليس «غرضًا»، وإذا ما أخذته لنفسك، أكلتَ ودمّرتَ،

ولكنّك ستحبّ نفسك، وأنت تتخيّل حبّ الآخر.

الإعجاب والافتتان، والجوع والرعشة، والأحاسيس وتفجّر الرغبات، كلّ ذلك جميلٌ وضروريٌّ، لدى الرجل ولدى المرأة،

ولكن فقط لكي يساعد على الحبّ من يبتغي الحبّ.

إنّه بابٌ منفرج، ونوافذ مشرعةٌ على مصاريعها،
والهواء الذي يتدفّق.

إنّه نداء الآفاق الفسيحة، وتمتمة اللّه، اللذان يدعوان إلى الخروج من البيت المغلق، من أجل المضيّ نحو آخر اخترت أن تملأه بحياتك، لأنّك تحبّه، ولأنّك تريد أن تُحَبّ.

فالحبّ، يا صغيري، هو:
أن تريد الآخر حرًّا، لا أن تفتنه،
وأن تحرّره من قيوده، إن ظلّ سجينًا،
لكي يستطيع، هو أيضًا، أن يقول: «أحبّك»،
بمعزلٍ عن ضغط رغباتٍ جامحةٍ.

الحبّ هو أن تدخل إلى الآخر، إن هو فتح لك أبواب بستانه السرّيّ، الذي يتخطّى دروب جولاته المعتادة، والزهور والثمار التي يقطفها على حافّات بساتينه المنحدرة، حيث ستستطيع، دهِشًا، أن تتمتم: «ها «أنت» ذا يا حبيبي، أنت حبيبي الوحيد».

الحبّ هو أن تريد، بكلّ قواك، للآخر، خيرًا، قبل أن تبتغيه لنفسك، وأن تفعل كلّ شيءٍ لكي يكبر المحبوب ثمّ يزهر،
مصبحًا، كلَّ يومٍ، الإنسان الذي عليه أن يكونه،
وليس ذاك الذي تودّ أن تصوغه على صورة أحلامك.
الحبّ هو أن تهبه جسدك، لا أن تأخذ جسده،
وأن تتقبّل جسده عندما يودّ المشاركة،

وهو أن تتخشّع، وتغتني، لكي تقدّم للمحبوب،

أكثر من آلاف المداعبات، والعناقات المجنونة،

حياتك كلّها مجمّعة بين ذراعَيْ «أنا»ك.

الحبّ هو أن تقدّم ذاتك للآخر، حتّى لو تمنّع الآخر، برهةً،

وهو أن تعطيه، بلا حسابٍ، ما يعطيه هو، وتدفع له أغلى ثمنٍ، غير مطالبٍ بردٍّ أيّ رصيدٍ متبقٍّ.

وهو، الحبّ الأسمى، أن تغفر عندما يتخاذل المحبوب،

ويسعى إلى منح آخرين ما وعدك به.

الحبّ هو أن تنصب مائدتك، وتجهّزها، كي يجلس إليها ضيفك من غير أن يساورك، أبدًا، أنّك من الاكتفاء بذاتك بحيث تستغني عنه. فإذا حرمت ذاتك من الطعام الذي يزوّدك هو به، لن تستطيع أن تقدّم، في مأدبة العيد، سوى خبز الفقير اليابس، لا المأدبة الملكيّة.

الحبّ هو أن تؤمن بالآخر وأن تثق به، تؤمن بقواه الكمينة، وبالحياة التي تقطنه.

وهو، أيّةً كانت الحجارة التي ينبغي إزاحتها من أجل تعبيد الطريق،

أن توطّن العزم، وأنت واعٍ لِما تفعل، على المضيّ ببسالة على دروب الزمن،

لا من أجل رحلة مئة يومٍ، أو ألف يومٍ، أو عشرة آلافٍ،

بل من أجل حجٍّ لا نهاية له، لأنّه حجٌّ يستمرّ دائمًا،

ولا مناص من القول، لكي أُطهّر أحلامك، أنّ الحبّ هو الرضى

بالألم، والموت عن الذات، من أجل الحياة وإتاحة الحياة للآخرين.

هو أن يستطيع الإنسان نسيان ذاته في سبيل آخر، بلا ألمٍ، وأن يستطيع الصدوف عن العيش من أجل ذاته، من غير أن يموت فيه شيءٌ منه.

الحبّ، أخيرًا، هو كلّ ذلك وأكثر.

فأن تحبّ هو أن تفتح ذاتك على الحبّ اللانهائيّ، وتستسلم له.

وبشفافيّتك لهذا الحبّ القادم، والذي لن تفتقر إليه أبدًا،

هو أن تتيح لله أن يحبّ من عزمت أنت، بحرّيّةٍ، على حبّه،

وهذه هي المغامرة السامية.

# إذا قالت العلامة الموسيقيّة

إذا قالت العلامة الموسيقيّة: ليست العلامة هي التي تصنع موسيقى،

لما وُجدت سمفونيّةٌ.

وإذا قالت الكلمة: الكلمة لا تصنع صفحةً، لما وُجد كتابٌ.

وإذا قال الحجر: ليس الحجر هو الذي ينشئ جدارًا، لما وُجد بيتٌ.

وإذا قالت قطرة الماء: ليست قطرة ماءٍ هي التي تصنع ساقيةً، لما وُجد محيطٌ.

وإذا قالت حبّة القمح: ليست حبّة قمحٍ هي التي تبذر حقلاً، لما كان حصادٌ.

وإذا قال إنسانٌ: ليست مبادرة حبٍّ هي الكفيلة بإنقاذ الإنسانيّة، لما كان، قطٌّ، عدلٌ، وسلامٌ، وكرامةٌ، وسعادةٌ على أرض البشر.

ومثلما أنّ السمفونيّة تحتاج إلى كلّ علامةٍ موسيقيّةٍ،

والكتاب يحتاج إلى كلّ كلمةٍ،

والبيت يحتاج إلى كلّ حجرٍ،

والمحيط يحتاج إلى كلّ قطرة ماءٍ،

كذلك البشريّة جمعاء تحتاج إليك حيث أنت،

فريدًا، ومن ثمّ لا غنى عنك.

# أَعرف

أعرف أنّ آلاف الناس يموتون جوعًا، في حين أنّ آخرين، في الآن عينه، يموتون من التخمة.

وذلك لأنّنا لم نعرف اقتسام القمح، وعجن الخبز من أجل إِخوتنا البشر.

أعرف أنّه إن كان الكثيرون، الكثيرون، من الشبّان يتفجّرون عنفًا،

بغية الاستيلاء، عنوةً، عمّا حُرموا منه، فإنّما ذلك لأنّهم جاءوا إلى الدنيا، خطأً

نتيجة عناقٍ طائشٍ، أو لأنّ آباءهم الصغار أَرادوهم دميةً للتسلية،

بعد السيّارة، والكلب الصغير.

أعرف أنّه، إن لم يُقيَّض لبعض البشر ألاّ يروا سوى إشاراتٍ سوداء خرساء،

على صفحات كتابٍ، فإنّما ذلك لأنّ آخرين احتكروا العلم، احتكار منحةٍ مخصّصةٍ.

أعرف أنّه إن كانت الأرض ملكًا ومصدر نفعٍ لأفرادٍ،

في حين أنّها ليست سوى ورشة عملٍ وجهدٍ للجموع،

فإنّما ذلك لأنّ الناس ذَهِلوا أنّ الأرض تخصّ الجميع، وليست للأقوى.

أعرف أنّ بعض الناس هم، في الواقع، أغنى من آخرين:
ذكاءً، وصحّةً، وجرأةً، إلاّ أنّ ثرواتهم هي دَينٌ عليهم تجاه المحرومين.
وأعلم، أيضًا، أنّ هذا الدَيْن يتفاقم غالبًا، ولكنّه لا يُسدَّد.
أعرف أنّه، إن كان ملايين البشر يعيشون، ولا يتسنّى لهم تبوّؤ مكانهم
في بناء العالم، بحرّيّةٍ ومسؤوليّةٍ،
فإنّما ذلك لأنّ البعض يزعمون أنّهم وُلدوا لكي يكونوا سادةً، ويلزمهم عبيدٌ،
من أجل الحفاظ على مكانتهم.
أعرف أنّه، إن كان آلاف السجناء يحتضرون في المعتقلات، أو يجأرون تحت التعذيب،
فلأنّ هناك أُناسًا يزعمون أنّهم مالكو الحقائق، ويقتلون الأجساد قتلاً بطيئًا لكي يموت الفكر.
وأعرف، أيضًا، وأُعجب ببشرٍ شجعانٍ في كلّ مكانٍ ينتصبون، واقفين،
ويلقون بأجسادهم الدامية في ساحات الكفاح من أجل العدل والسلام،
ولكنّني أعرف، أيضًا، أنّ من جسدٍ مناضلٍ، مفتقرٍ إلى قلبٍ خفّاقٍ، لا يولد نصرٌ.
فالصراعات الخالية من الحبّ هي صراعاتٌ باطلةٌ،
وأنّ الدم الذي تسفكه يستدعي دمًا آخر.

# الفداء، طاقةٌ منسيّةٌ، طاقةٌ مُحَوّلةٌ عن غايتها

غالبًا ما تظلّ الطاقة الكامنة في قلب الألم منسيّةً. وهكذا، من جرّاء حماقتها، تحرم البشريّة ذاتها من أكبر قوّة تحريرٍ، وتجدّدٍ، ووحدةٍ ونهوضٍ. فالإنسان ينزع إلى تخليص نفسه بذاته، وإلى بناء العالم، بمعزلٍ عن تحرير الحبّ الذي اكتسبه يسوع المسيح، هذا الحبّ المخزون في طيّات أصغر ألم... إن لم يوحِّد ملاط الحبّ بين كلّ أحجار البناء، فعبثٌ هو البناء. إذ إنّه، منذ الخطيئة، بات يتعذّر على هذا الحبّ أن يزهر إلاّ بفضل جهدٍ موجعٍ، ولكنّه منتصرٌ، تبذله أعضاء يسوع المسيح المتألّمة. فلا يسوغ هدر أيٍّ من الآلام البشريّة، وإلاّ لما أحدث الفداء ملء تأثيره على قوم زماننا.

وغالبًا، أيضًا، ما حُوّلت الطاقة الكامنة في الألم عن هدفها، كلّما استُخدم الألم في ذاته، بعد إفراغه من محتواه. ولطالما سار الإنسان وحيدًا مع ألمه، وسحقه عبء المظالم الصارخة، تلك الآلام التي كان يُنصح «بتقديمها من أجل خلاص نفسه». وهذا هو أبشع تحويرٍ روحيٍّ ممكنٍ. فليس المطلوبَ موعدٌ مع الألم، لأنّ الألم سرٌّ. بل المطلوب، في ما يتخطّى الألم المحارَب، موعدٌ مع يسوع المسيح المتألّم.

لا يسوغ أبدًا شكر الله عن الألم، مثلما لا يسوغ شكره عن الخطيئة، بل ينبغي شكره عن اللقاء المزلزل مع المخلّص، الذي رغم الألم، ينتظرنا لكي يجعلنا نستفيد من صراعه ضدّ الخطيئة وضدّ الألم، ومن انتصاره عليهما.

ليس صحيحًا أنّ اللّه «يمعن في امتحان محبّيه»، بل صحيحٌ أنّنا بقدر ما نتألّم، بنفس القدر يكون يسوع المسيح حاضرًا معنا، إذ إنّه قد سبق له أن تألّم وقهر ألمنا.

إنّه متيقّظٌ وجاهزٌ، ليس من أجل إعفائنا من الألم، بل من أجل مساعدتنا على قهره، نحن أيضًا، وتحويله إلى قدرةٍ فدائيّة، بفضل حبّه.

إنّ الولد الذي يلهو بهدوءٍ ونظامٍ، يبقى وحيدًا، في حين أنّ أُمّه، في حجرةٍ مجاورةٍ، منصرفةٌ إلى أعمالها. ولكن إن هو خالف قواعد الهدوء والنظام، وجرح ذاته، وتألّم، ونادى أُمّه، فهي ستهرع نحوه لغوثه، وهي مع خطئه، تحضر، أكثر يقظةً ومحبّةً من أيّ وقتٍ. ومع ذلك قد يتمرّد هو على الألم، ويتمرّغ أرضًا، ويضرب الأداة التي أدّت إلى جرحه، ويضرب والدته التي هبّت لغوثه. وحينئذ يتفاقم وجعه، لأنّ وجعه مستمرٌّ، فيتعمّق جرحه، ويمكث وحيدًا مع وجعه وحنقه. وعلى نقيض ذلك، إذا هو ركّز اهتمامه على والدته التي تنتظره، فسيتخطّى وجعه، ويطّرح بين ذراعيها. وأمّه لا تلغي وجعه، ولكنّها تحمل وجعه معه.

وهكذا فالألم الكبير قد يُقصي عن اللّه أو قد يقرّب منه. فبوسع الإنسان أن ينبذ يسوع المسيح الحاضر في قلب هذا الألم، ويتّهمه و«ينتقم» منه. وبوسعه، أيضًا، إثر سماع همس دعوته إلى الحبّ، الانضمام بكلّ قواه إلى مبادرة فاديه، والاستسلام بين يديه، وتقديم ذاته له، بارتضائه تقدمة ألمه.

وهكذا، حين تكثر الخطيئة، يشتدّ حضور اللّه من أجل تولّيها وغفرانها. وحيث يتكاثر الألم، يتعزّز حضوره من أجل حمل بنيه وإنقاذهم، أي من أجل حبّهم.

# من هو الآخر؟

الآخر هو من تلتقيه في طريقك،

هو من يكبر، ويعمل، ويُسَرّ أو يبكي، إلى جانبك.

هو الذي تقول عنه: «تسعدني رؤيته» أو «لا أُطيق رؤيته»،

هو من لا تقول فيه شيئًا، ولا يوحي لك بشيءٍ، لأنّك تمرّ به ولا تنظر إليه،

ولا تراه....

الآخر هو من يتوجّب عليك الاتّحاد به، كي تصبح الإنسان «الكلّيّ» و «الأخ الكونيّ»،

من يتوجّب عليك الاتّحاد به، لكي تنجح حياتك، ولكي تخلص مع البشريّة جمعاء.

الآخر هو من تتعاون معه، كلّ يومٍ، من أجل إكمال الخليقة.

الآخر هو قريبك، الذي عليك أن تحبّه بكلّ قلبك، وكلّ قواك، وكلّ نفسك.

الآخر هو من سيُحكَم عليك، بموقفك منه،

الآخر هو من يجعلك تكبر، إنّه هديّة حبّ المسيح.

الآخر هو مرسل الآب، وشأن حبّ المسيح.

الآخر هو من:

به اللّه يتكلّم،

وبه اللّه يدعو،

وبه اللّه يُغني،

وبه يقيس اللّه حبّنا.

# الحبّ، غذاء الجائع

الحبّ غذاء الجائع، وماء العطشان الزلال،

شمس الإنسان المقرور، ونسغ الحيّ الذي لا غنى عنه.

الحبّ، ابن هذا العالم الفظّ، البائس،

الحبّ الذي أضحى موضع ريبةٍ، وتجريبٍ، الخاضع للشروط، والحبّ لأمدٍ محدّد.

أيّها العالَم التعيس، المفتقر إلى كفايته من الحبّ،

العالم الذي يتشقّق، ثمّ ينهار،

مثل تربةٍ محرومةٍ من الماء.

عالم إخوةٍ ينقلبون أعداءً، وعالم أعداءٍ يستغلّ بعضهم بعضًا ويتناحرون.

بشرٌ تعساء مخدوشون، ممزّقون، ثائرون،

بشرٌ مفطومون عن الحبّ.

بشرٌ يُنفقون أيّامهم المتّشحة بألوان الليل،

يبحثون، ويتحقّقون، ويقيسون:

هل سبق لهم أن أُحبّوا، هل هم الآن محبوبون، وهل سيُقيَّض لهم أن يحظوا بالحبّ.

بشرٌ يتسوّلون بعض لقمات حبّ، كي يضمنوا البقاء غدًا،
بشرٌ يسعون إلى الذهول، والمتعة، ويضاجعون اللذّة،
ناسين أنّهم يرقدون على هواجسهم، ويخيّمون فوق مخاوفهم.
أيّها الحبّ! متى ستعاد للعالم المجنون الذي يرتاب فيك،
ويعاني موتًا بطيئًا، لأنّه فقد الإيمان بك؟

# يا حبيبتي الجميلة المجهولة

## (صلاة شابّ ينتظر حبّه)

في مكانٍ ما، بعيدًا عنّي، وربّما على مقربةٍ منّي...
ولكنّني أجهل رقّة ملامح محيّاك،
ولن أعرف شيئًا من الأنامل والخيوط التي نسجت حياتك،
لن أعرف شيئًا حتّى تطلعيني، أنتِ، عن اللحمة والسَّدى التي بها حيكت.

يا حبيبتي الجميلة المجهولة،
أودّ أن تفكّري بي، هذا المساء، مثلما أفكّر، أنا بك،
لا في حلمٍ مذهّبٍ لن يمثّلني، بل في ليل قلبك، نافد الصبر،
الليل المتمادي الذي ارتضيته.
فأنا، أيضًا، موجودٌ، وحقيقيٌّ، ولن تقوي على اختراعي،
من غير أن تشوّهيني.
حبيبتي الجميلة المجهولة، أُحبّك بلا وجهٍ،
من أجلك أريد الآن، بكلّ قوّتي، أن أَغتني لكي أُغنيكِ.
وسأتمرّس، بلا هوادةٍ، بالعطاء، متجنّبًا الأخذ.
إذ إنّني، عندما ستظهرين، مجتذبةً أنظاري،

لا أريد خطفك، مثل سارقٍ، بل أريد استقبالك استقبال كنزٍ مقدّمٍ،

وستكونين أنت الكنز، وستهبين ذاتك.

يا حبيبتي الجميلة المجهولة، هل ستصفحين عنّي غدًا،

عندما ستلتصقين بي واثقةً، ويُبحر نظرك في سماء عينيّ،

حيث ستزورين الغيوم البعيدة، غيمةً فغيمةً؟

هل ستغفرين لمن أمعن، وا أسفاه، في ممارسة طقوس الحبّ؟

هل ستغفرين لي أنا الذي تلقّنتها مع أُخريات سواك، وأودّ اليوم، من أجلك، محوها من ذاكرتي؟

فأنا أُدرك، الآن، كم سيكون جميلاً أن نبحث ونجد معًا،

النغمات الصحيحة والرائعة، التي ستواكب أناشيد حياتنا،

أناشيد الفرح وأناشيد الأسى.

يا حبيبتي الجميلة المجهولة، إنّي أُصلّي من أجلك، اليوم، لأنّك موجودةٌ،

ولأنّي، من أجلك، أُريد أن أكون وفيًّا، ولأنّك، أنت أيضًا، تعانين،

وربّما تعانين من أجلي.

أنا أتأهّب، وأنت تتأهّبين، ولَأتمنّى، بكلّ قواي،

أن أكون شمسك،غدًا، وأن تكوني أنت نبعي، فأُدفئك وتروينني

وسنلقّح جسدينا، من أجل حياةٍ جديدةٍ، وسنعطي العالم ما يحتاج إليه:

ثقل حبّنا الذي سيفتقر إليه، بمعزلٍ عنّا،

ولكن، يا حبيبتي الجميلة المجهولة، ما زال علينا أن ننتظر.

وما أوجع انتظار الليل لدى عشّاقٍ لا وجه لهم!

ولكنّني أعرف أنّ حياتينا تبحثان إِحداهما عن الأُخرى، وتتناديان،

وإِنّي لعلى يقينٍ، الآن، أنّ رغبة اللّه تُنشِد، مغمورةً بالنور،

في غور رغباتنا الليليّة.

أومن أنّ أبانا الذي في السماوات يرمقنا، يا حبيبتي، منذ الأزل،

ويحبّنا، هامسًا: «إذا هما شاءا فلن يكونا، غدًا، إلاّ واحدًا»

هذا هو حلمه الأبويّ،

وسيكون هذا قرارَنا البنويّ.

## نسمةٌ

أعظم موسيقيّ يعجز عن العزف على أوتارٍ مقطوعةٍ،
وهبّة الريح تعجز حيال مركبٍ فَقَد صاريه، وطُويت أشرعته،
واللّه الحبّ لا يستطيع شيئًا ما لم يهبّ الإنسان حرًّا، واقفًا
صانعًا حياته، بجهده،
وصانعًا العوالم مع إخوته المجتمعين

* * * * * * * * * * *

# من عدم الرضى إلى الرغبة

هل تعلم سبب أدهى آلامك؟ إنّه شعورك بعدم الرضى والتمزّقات، والصراعات بين:

ما ترغب فيه، وما تملكه فعلاً،

جوعك إلى المعرفة، وخفايا سرّك الخاصّ، وأسرار العالم،

شهوتك الجامحة إلى السعادة، ومعاناتك بجميع وجوهها،

توقك إلى العظمة الأخلاقيّة، والشرّ الثاوي فيك ومن حولك،

ظمؤك إلى الحبّ، وخيبات الحبّ البشريّ وحدوده،

أنّ ما يوجعك هو افتقارك إلى الكمال والاكتمال،

ولا تظنّن أنّ تحقيق تطلّعاتك العميقة يمكن أن يأتيك من عوامل خارجيّة،

فوحده الكائن الأسمى، الثاوي في داخلك، قادرٌ على منحك الارتواء والشبع.

* * * * * * * * * * * *

# عوامل إخصابٍ

يا عالمًا محطّمًا إلى شظايا، يا عالمًا غير مكتملٍ، يا عالمًا يتكوّن، ينشأ ويتهدّم، يا عالمًا مقدّمًا للإنسان لكي يكمّله الإنسان،

ها إنّك أمامنا، مخطوبًا منذ البدء، لكي يقتادك الإنسان إلى الأعراس الأبديّة.

ينبغي أن يخترق النهر الأرض البكر، الشاسعة، الجاهزة، لكي تصبح مخصبةً،

وينبغي أن يتقبّل الثلم المرويّ بعرق البشر، البذارَ، لكي يولد القمح،

وعلى السنبلة الخضراء، التي يُداعبها النسيم، أن تقترن بالشمس كي ينضج الحصاد،

وعلى القمح المطحون، الذي لقّحته الخميرة، الاقتران بحرارة النار كي ينضج الخبز،

وينبغي أن يتّحد جسد الإنسان وقلبه، كي يهبّ الإنسان واقفًا.

وينبغي أن يقترن فكر الإنسان بالمادّة، لكي تصبح كلّ مادّةٍ خادمةً للحياة.

ويجب أن يقترن الحجر والخشب، بفضل الإنسان، لكي يقوم البناء...

وبفعل الإنسان، أيضًا، ، يجب أن يلتقي الحديد والرمل والنار لكي يُفلح الجسر،

أخيرًا، في جمع الضفّتين المنفصلتين،

وينبغي أن يمدّ الإنسان يده للإنسان لكي تحيا الأُخوّة، وتزهر الصداقة،

وينبغي أن ينفتح كفاح العدل على الحبّ، بواسطة الإنسان، لكي تتفتّح أزرار الحرّيّة،

وينبغي أن يقترن الرجل بالمرأة كي يولد الفرح، وابن الفرح.

وكان لا بدّ من أن يكون اللّه ثلاثةً، وأن يكون هؤلاء الثلاثة **واحدًا**، لكي يحيا الحبّ في الثالوث المقدّس.

وكان لا بدّ من أن يكون اللّه إنسانًا، لكي يصبح الإنسان إلهًا، بصيرورته ابنًا،

والآن يجب أن يكون البشر أحرارًا، وملقّحين بالروح، ومجموعين في كنيسةٍ،

لكي يكوّنوا جسدًا واحدًا تسري فيه **الحياة**.

* * * * * * * * * * *

# حياة أبناء الله

كلّما غلا الماء في الركوة، اكتسبت القهوة طيب مذاقٍ.

فهب ذاتك وقتًا كي تمرّ حياتك عبر مصفاة فكرك وضميرك، فتضمن لحياتك النجاح.

كلّما حييت شخصيًّا، أصبحت أقلّ فأقلّ فردًا، وأكثر فأكثر شخصًا.

إذا ساعدت آخر على إعمال فكره حول فيلمٍ أو مقالٍ، أو شخصٍ....،

إذا ساعدته على وعي وضعٍ واقعيٍّ، أو حدثٍ يطاله...،

إذا ساعدته على أن يكون أكثر حضورًا، في ظرفٍ معيّنٍ من حياته،

تكون قد أسهمت في نموّه، وازدهاره، والسير به نحو الله،

فكلُّ جهدٍ يبذله الإنسان كي يكون أكثر إنسانيّةً، يُقرّبه من الآب، الذي يرغب في أن يراه ناعمًا بملء الوعي وملء الحرّيّة.

* * * * * * * * * * * *

# وترٌ حسّاسٌ

من بين قدراتك، إحساسُك يقلقك. لا تستهِنْ به، فهو مكمن ثروةٍ هائلةٍ، يتيح لك:

أن تتأثّر إزاء مشهدٍ رائعٍ، أو حيال ألم شخصٍ عزيزٍ،

أن تضجّ متعةً حيال أثرٍ فنّيٍّ، أو حيال فرح صديقٍ،

أن تتواصل بيُسرٍ مع الآخرين، وأن تحيط بأعماق الأوضاع والأشخاص،

أن تدرك الدعوات الملحّة إلى العطاء، ومشاعر المحبّة.

ولكن، على إحساسك وعقلك أن يتصادقا، ويسيرا معًا، لكي يهب أحدُهما الآخر

العمقَ والاستقامةَ اللذين قد يفتقران إليهما، إذا عملا منفردين، منفصلَين،

إن أنت ضربت كلبك ضربًا وحشيًّا كلّما عوى، فسيفزع سريعًا إلى حجرته حالما يراك.

وإن دأبت على قمع إحساسك، فسينكفئ إلى داخلك، وسيصعب عليك استخراجه،

والولد الذي يُعَامل بقسوةٍ ظالمةٍ، يضحي كاذبًا، مخادعًا، سارقًا، ويقوم بأعمالٍ خفيّةٍ.

فحذار من إحساسك، لأنّك إن عنّفته، فسيتخفّى، ولكنّه لن يكفّ عن العمل.

# الإيمان والنعمة

ليس الإيمان:

انطباعًا أو إحساسًا، ولا ضربًا من التفاؤل في وجه الحياة، ولا إرضاء حاجةٍ إلى الأمان.

وليس: رأيًا، أو سنّة سلوكٍ أخلاقيٍّ، أو قناعةً قائمةً على التفكير، ولا بداهةً علميّةً، ولا عادةً اجتماعيّةً، أثمرتها التربية،

بل، إنّ الإيمان هو، أوّلاً، **نعمةٌ** (غَرسَ العمادُ بذارها) أي **هبةٌ إلهيّةٌ**. وهذه النعمة تساعدنا على التقاء شخصٍ، يسوع المسيح الحيّ، وعلى التيقّن بأنّ ما قاله حقٌّ، وبأنّ شهادته –بحياته وبأقواله– صادقةٌ. وبدعم هذا اليقين يصبح الإيمان تبنّي رؤية يسوع فينا وفي الآخر، في الأشياء، في البشريّة، في التاريخ وفي الكون، وفي اللّه عينه، والالتزام بمقتضيات هذه الرؤية.

* * * * * * * * * * * *

# سراب الحبّ

لا يستطيع أحدٌ أن يؤتي ثمارًا، ما لم يكن متجذّرًا بعمقٍ. والواقع أنّ الإنسان الحديث

لا يكفّ عن السير، بحثًا عن أرض ميعاده. وعندما يظنّ أنّه عثر عليها، يتوقّف برهةً،

ولكنّه لا يصبر حتّى تنضج الثمار، بل يقتطفها وهي خضراء حامضةٌ،

وسرعان ما يخيب رجاؤه، فيرميها أرضًا متّهمًا التربة.

ويستأنف مسيرته على درب سرابه.

فليته يجيد التوقّف، وملء كلّ كثافة اللحظة الحاضرة.

فيا واقع حياتي اليوم،

أنت تربتي، وفيك أَبتغي الإزهار.

ويا ربّ، أَبعد عنّي غواية «المكان الآخر».

* * * * * * * * * * * *

# حياةٌ بقياسك

اقبلْ ذاتك، ولكن اقبلْ ذاتك، أيضًا، حيال الآخر.

لمَ تخشى رئيسك في العمل، وعاملك، والإنسان الذي يفوقك ذكاءً، ومن يجيد الكلام خيرًا منك، ومن هو «أكثر إلمامًا بالقضيّة» منك؟ ولمَ لشخصٍ ما تأثيرٌ عليك؟

لمَ تخجل، وتشلّك «عقدة الدونيّة»؟ أليس لأنّك أبيت تقبّل ذاتك أمام الآخر، ولأنّك تخشى رأيه فيك؟

إن خفت الآخر، فاعلم أنّه هو أيضًا، يتوجّس خشيةً حيالك، إذا كنت متقبّلاً ذاتك. فكلّ إنسانٍ محدودٌ إزاء آخر، لأنّه هو ذاته، ولا يسعه أن يكون الآخر.

لا ترغبنّ في سوق حياة الآخر، فهي ليست بقياسك. فالله الآب أعدّ لكلّ فردٍ حياةً تلائم قامته. ومن ثمّ فمن الخطإ ارتداء حياة الآخرين، كما لو رغبت في تدثّر سترة صديقك، بحجّة أنّها تليق به جدًّا.

* * * * * * * * * * *

# ليس لديّ متّسعٌ من وقتٍ....

عندما يرفع السابح رأسه فلكي «يسترجع أنفاسه»

وعندما يتوقّف السائق عند محطّة المحروقات، فلكي «يملأ» سيّارته بالوقود

وعندما تتوقّف، أنت، فلكي تعي ذاتك، وتستجمع قدراتك، وتنظّمها وتوجّهها، لكي تلتزم، كلّيّةً، بحياتك.

ارتضاء التوقّف هو قبول النظر إلى الذات، وارتضاء النظر إلى الذات هو العزم على الالتزام، لأنّه يعني إدخال الروح إلى داخل المنزل.

لن تتعرّف ولن تدرك ذاتك، تعرّفًا وإدراكًا كاملَيْن إلاّ بنور اللّه.

ولن يكون عملك مجديًا إلاّ بالتعاون مع عمل اللّه.

وكلّما ضربت موعدًا مع ذاتك، اضرب، في الآن ذاته، موعدًا مع اللّه.

* * * * * * * * * * *

# هل يُسئمك الإنجيل؟

هل يُسئمك الإنجيل؟

أنت لا تعرف منه سوى بضعة مقاطع، استمعت إليها، بلا انتباهٍ، في قدّاس الأحد،

هل فتحت إنجيلك، بين حينٍ وحينٍ، «ولم تجد فيه شيئًا»؟

ليس الإنجيل كتابًا سرّيًّا يُستشار، على عجلٍ، بحثًا عن حلٍّ لمعضلةٍ خطيرةٍ.

هل طالعت الإنجيل بانتظامٍ وأمانةٍ، لأنّك نُصِحْتَ بذلك، و«لم يأتِكَ بشيء»؟

ذلك أنّك تستخدم الإنجيل مثل أيّ كتابٍ عاديٍّ، غير باحثٍ فيه عمّا يجب أن تجد فيه.

إذا أقبلت على الإنجيل مبدئيًّا، بصفتك، عالمًا، أو مؤرّخًا، أو ناشطًا،

وإذا نشدت، في المقام الأوّل: انفعالات، أو خواطر، أو وصفاتٍ دينيّةً، أو قواعد أخلاقيّةً،

فأنت لعلى خطإ، وسرعان ما سيخيب رجاؤك، إذ إنّك تحاكي عاشقًا يدقّق في تفاصيل ثوب حبيبته، ولا يصغي إليها، ولا يلقي نظرةً إلى محيّاها.

# جاهزٌ داخليًّا

إذا ابتغيت التأهّب لعقد علاقات مع الغير، فابدأ بإجادة النظر.

ولكي تنظر، سِرْ ببطءٍ، واحرص على التوقّف، وتحلَّ بفضولٍ ذكيٍّ مراقبًا كلّ ما يتيح لك معرفةً فُضلى للبشر: حياتهم المهنيّة، والعيليّة، وتسلياتهم، وعلاقاتهم مع أهل حارتهم، وأذواقهم، وتطلّعاتهم، ومصاعبهم، وصراعاتهم...

لا بدّ من معاناة جوعِ المعرفة في سبيل الفهم والحبّ.

من أجل عقد اللقاء، ليس كافيًا لمح الآخر. بل ينبغي الترحيب به. والواقع هو أنّ ثمّة أزمة سكنٍ أخطر من الافتقار إلى مساكن، تتمثّل في الافتقار إلى بشرٍ جاهزين، داخليًّا، لاستقبال إخوتهم.

فكن منزلاً مشرعًا دائمًا، والدخول إليه متاحٌ، بلا «كلابٍ شرسةٍ» تخيف وتبعد:

والمتمثّلة في طباعك، وكبريائك، وأنانيّتك، وحسدك، وسخريّتك، وفظاظتك، وجفوتك.

لا تجعل الآخر يرتدّ قائلاً: «لم أجسر، خفتُ أن يطردني، وأن يسخر منّي، وألاّ يفهمني..»

لا تفرض انتظارًا يسبّب التردّد: بل كن جاهزًا في الحال، ولو من أجل تحيّةٍ أو بسمةٍ، إن لم يكن لديك متّسعٌ لدعوةٍ إلى الجلوس.

دقيقةٌ واحدةٌ حافلةٌ بالاهتمام، كافيةٌ من أجل استقبال الآخر.

ولا يكن فيك أثاثٌ مربكٌ؛ بل فليكن منزلك خاويًا، جاهزًا. ولا تفرض ذوقك وآراءك، ووجهة نظرك.

لا مقايضاتٍ مكلفةً: ما تقدّمه قدّمه مجّانًا، غير منتظرٍ أيّ مقابلٍ.

ولا عقودًا ملزمةً: فليدخل الزائر ويخرج كما يطيب له، بلا معاملاتٍ، ولا التزامٍ.

وسيقول لك المسيح، يومًا: «شكرًا لهذا المقام في منزل قلبك»، أو: «ويلٌ لك، لم أجد فيك حجرًا أسند رأسي إليه».

* * * * * * * * * * *

# تسليم الذات

لن ينتزع الربّ عنك، عنوةً، وقر همومك، ولا أدوات بنائك، ولا أسلحة كفاحك، ولا العمل الذي يتعيّن عليك إنجازه.

إنّه هنا، حاضرٌ في كلّ حياةٍ، حضورًا متكتّمًا، منتظرًا أن تعطيه أنت أحد همومك، وأن توكل إليه مهمّةً. فعلامَ تحتفظ بكلّ العمل لنفسك؟ ولمَ تناضل، سائلاً إيّاه أن «يعينك»؟ لمَ لا توكل إليه العبء كلّه، والعمل كلّه، تهبه قلبك ويديك لكي يستخدمهما هو؟

قبل نومه في ليل الموت قال المسيح لأبيه، في الجلجلة: «أُسلم نفسي بين يديك»، وأودعه نفسًا مثقلةً بالخطايا، وبكلّ أنواع الآلام، وكلّ «هموم» العالم. وبعد مضيّ ثلاثة أيّامٍ أعاد له الآب حياةً كلّيّة الجدّة، والمجد، والنور... الفصح.

في كلّ مساءٍ، ارتضِ أن تموت عن كلّ مشاغلك، وكلّ همومك المبرّرة وغير المبرّرة. وبتواضعٍ أودِع كلّ شيءٍ بين يدي الآب، عساك أن تستيقظ، كلّ صباحٍ، محرَّرًا من كلّ قلقٍ، جديدًا، نقيًّا، مواجهًا الحياة التي تنتظرك.

«بين يديك، يا ربّ، أودع روحي، وأنت تنقذني، أيّها الإله الأمين»، «ما كدت أستلقي، حتّى غشاني النوم، بسلامٍ، لأنّك، أنت، يا ربّ، توفّر لي الأمان».

إن شئت أن تكون حرًّا، شابًّا، فرحًا، ناعمًا بالسلام، قويًّا ومنتصرًا في كلّ يوم، وفي كلّ دقيقةٍ، «ألقِ همّك في الربّ، وهو سيعينك».

# بابي منفرجٌ

قديمًا، في فلسطين، كنتَ تلتقي أولئك المرضى، البائسين، مثل هؤلاء الذين تلتقيهم اليوم، والذين يعذّبهم أُلوف الأبالسة.

كانوا يدنون منك، ويتوسّلون، وكنت تحرّرهم، لأنّ إيمانهم كان يفتح قلبهم على مصراعيه لحبّك المنقذ.

وها إنّ بابي منفرجٌ اليوم، يا ربّ، وقد لمحتك مارًّا.

فادخل بيتي، وامكث معي، وأنا سأتخشّع أخيرًا، وعند قدميك أُصغي إليك في الليل.

أظنّ أنّني مشرفٌ على نومٍ هادئٍ، لأنّني أصغيت إليك وأنت همستَ دواءك في أُذني، وأعرتَ شفتيّ كلماتٍ حيّةً، تبنّيتها أمس، وتدعوني اليوم إلى تبنّيها: «بسلامٍ أضّجعَ، ومن ساعتي أنام لأنّك وحدك، ياربّ، في أمانٍ تُسكنني». (مزمور ٤)

«التمست الربّ فأجابني، ومن جميع أهوالي أنقذني» (مزمور ٣٣)

«ألقِ على الربّ حملك، وهو يعدلك» (مزمور ٥٤)

«اللّه يرزق حبيبه وهو نائمٌ» (مزمور ١٢٦)

مساء الخير، يا ربّ، وشكرًا من أجل وصفتك الطبّيّة.

* * * * * * * * * * *

# حياة المسيح

دع حياة المسيح تخترق عقلك،

وأنت يا من يبتغي اكتشاف سرّ نفسك، وسرّ العالم، ستستطيع المعرفة مثلما يعلم الله. دع حياة المسيح تخترق إحساسك، وأرادتك، وقلبك،

وأنت يا من يبتغي أن يحبّ بلا حدود، ستستطيع أن تحبّ بقلب الله.

دع حياة المسيح تخترق عملك،

وأنت يا من يبتغي النجاح، سيتهيّأ لك تلقّي قدرة الله كلّها.

دع حياة المسيح تخترق جسدك، كي تغرس فيه بذار خلودٍ،

وأنت يا من يبتغي حياةً كثيفةً، ستحيا، في المسيح، أبديًّا.

وإذا ارتضيت تقبّل يسوع المسيح في كلّ «مستويات كيانك» سيحوّلك روحه القدّوس، شيئًا فشيئًا، من الداخل.

* * * * * * * * * * *

# مناولة

إذا تناولت يسوع الذي مات وقام، فلكي تستقبل الفداء في أَعضائك،

ولكي تتحرّر من الخطيئة، ولكي تحوّل حياتك البشريّة إلى حياة ابن اللّه، إلى حياة المسيح، وأيضًا لكي تحمل الفداء إلى محيطك كلّه، وإلى عملك، وإلى علاقاتك.

إنّك وحيدٌ ولا غنى عنك، حيث أنت موجودٌ، وفي لحظة حياتك هذه.

ويسوع يحتاج إليك من أجل بلوغ هذا الجزء الصغير من المادّة، ومن الحياة، هذه القطعة من العالم، هذه اللحظة من التاريخ.

إذا كنت، وأنت تتناول، حاضرًا ناشطًا في كلّ الحياة التي أُدرجْتَ فيها،

فستصبح لقاح حبٍّ إلهيٍّ، في شجرة العالم الكبيرة،

وتصبح، ثانيةً، فم جسد الإنسانيّة الجسيم، ولكن، في هذه النوبة، من أجل تغذيته بالحياة الأبديّة،

وتكون من يسمح لهذا الجسد أن يكبر، ويتطوّر، ويصبح، ولو قليلاً، جسد المسيح السرّيّ.

* * * * * * * * * * *

# الفهرس


| | |
|---|---|
| **تمهيد** | ٥ |
| **(١) صلوات** | ٩ |
| المجد لك يا إلهي | ١١ |
| في الصلاة نقول لله: | ١٤ |
| صلاة مع عمّال الليل | ١٥ |
| بين يديك، يا ربّ | ١٩ |
| اللَّبِنة | ٢١ |
| نسبّحك، أَيّها الآب | ٢٢ |
| أودّ أن أرتقي إلى الأعلى | ٢٤ |
| أُمّي هي أجمل اختراعاتي | ٢٦ |
| أستغفرك، يا ربّ | ٢٩ |
| يا ربّ، لمَ طلبت منّي أن أُحبّ؟ | ٣١ |
| الخوف من الرغبة | ٣٤ |

تأمّل ٣٥

يا ربّ، نجّني من ذاتي ٣٦

الفتى الجانح ٣٩

لقد أمعنتُ، يا ربّ، في تأمّل وجوه البشر ٤٢

يا ربّ، أنت ذلك العاطل عن العمل الذي التقيته منذ ساعة ٤٨

المستشفى ٥٣

يا ربّ، لمَ عليّ دائمًا أن أتحامل على ذاتي؟ لست راغبًا ٥٥

صلاةٌ في قعر وحدتي ٥٨

ما زلنا متحابّين ٦١

لقيت مارسيل وحيدًا ٦٦

إنّي أشيخ، يا ربّ ٦٨

يا ربّ، هبني اليقين بأنّك تناضل معي ٧٢

هيروشيما (تأمّل داخل قطار) ٧٧

ها قد مثلنا أمامك، يا ربّ، كي نستجمع قوانا ٧٩

يا ربّ، كم سيكون سهلاً.... ٨٠

| | |
|---|---|
| الغصن الميّت | ٨١ |
| النظر | ٨٢ |
| ضمّني بشدّة وقال: «إنّي أعبدك» | ٨٤ |
| إنّك تعقّد حياتي، يا ربّ | ٨٧ |
| يا ربّ، إنّي في حالة صيرورة | ٩٠ |
| افتح عينيّ، يا ربّ | ٩٢ |
| يا إلهي، أنا لا أُصدّق... | ٩٧ |
| لمَ تتوارى، يا ربّ | ١٠٢ |
| أذكر عهدك، يا ربّ | ١٠٣ |
| في قطار باريس، في قطار الحياة | ١٠٥ |
| نشدتك، يا ربّ | ١١٠ |
| حرصي على التظاهر | ١١٢ |
| وحدةٌ صقيعيّةٌ | ١١٣ |
| فراغ | ١١٤ |
| أبانا | ١١٦ |

فلْأسمح له بالوجود ١١٨

كيف علينا أن نصلّي اليوم؟ ١١٩

**(٢) بذور حياة** ١٢٥

الحبّ يتخطّى الحبّ ١٢٧

الولد ١٣٠

الحبّ ١٣٢

إذا قالت العلامة الموسيقيّة ١٣٦

أَعرف ١٣٧

الفداء، طاقةٌ منسيّةٌ، طاقةٌ مُحَوّلةٌ عن غايتها ١٣٩

من هو الآخر؟ ١٤١

الحبّ، غذاء الجائع ١٤٣

يا حبيبتي الجميلة المجهولة ١٤٥

نسمةٌ ١٤٨

من عدم الرضى إلى الرغبة ١٤٩

عوامل إخصابٍ ١٥٠

حياة أبناء اللّه ١٥٢

وترٌ حسّاسٌ ١٥٣

الإيمان والنعمة ١٥٤

سراب الحبّ ١٥٥

حياةٌ بقياسك ١٥٦

ليس لديّ متّسعٌ من وقتٍ.... ١٥٧

هل يُسئمك الإنجيل؟ ١٥٨

جاهزٌ داخليًّا ١٥٩

تسليم الذات ١٦١

بابي منفرجٌ ١٦٢

حياة المسيح ١٦٣

مناولة ١٦٤

الفهرس ١٦٥

# ظهر من سلسلة «صفحات روحيّة»

| | |
|---|---|
| ١ – م. يوسف الكلاّس: | على دروب الإنجيل |
| ٢ – ماري – تريز دو ماليسي: | صلاة على مدى ١٥ يومًا... |
| ٣ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: | قصص تأمّليّة (١) |
| ٤ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: | قصص تأمّليّة (٢) |
| ٥ – أ. إميل الحاجّ البولسيّ: | قصص تأمّليّة (٣) |
| ٦ – أ. غَردِيّ الدومنيكيّ/ أ. باسيليوس بريدي: | مقام الروح القدس في الحياة المسيحيّة |
| ٧ – أ. جوزيف شريفرز/ جورج الريّس: | بذل الذات |
| ٨ – أ. باسيليوس بريدي البولسيّ: | عظات في التطويبات ومريم العذراء |
| ٩ – م. كيرلّس بسترس: | تأمّلات في إنجيل ربّنا يسوع المسيح |
| ١٠ – هنري كافاريل/ جورج عازار: | الصلاة لقاء مع الله |
| ١١ – أ. بيتر فان بريمن/ أ. وفيق نصري اليسوعيّ: | كالخبز الذي كُسِر |
| ١٢ – أندريه لوفيه/ أ. الياس زحلاوي: | هروبي الأخير مع يسوع المسيح |
| ١٣ – عادل تيودور خوري | مع يسوع المسيح في لقاءاته |

١٤ – رينهارد لتمان/ عادل تيودور خوري : من حصاد المطالعة

١٥ – الخوري بولس الفغالي : إرفعوا الكِسَر

١٦ – كرت رومل/ حنّا شوملي : أبانا الذي في السماوات

١٧ – م. يوسف الكلاّس : من وحي الإنجيل

١٨ – م. سليم الصائغ : الصلاة بالروح والحقّ (١)

١٩ – م. سليم الصائغ : الصلاة بالروح والحقّ (٢)

٢٠ – هنري كافاريل/ أ. أنطوان نصر : «لا تخفْ أن تأخذ مريم زوجةً لك»

٢١ – م. سليم الصائغ : يسوع خبز الحياة (١)

٢٢ – م. سليم الصائغ : يسوع خبز الحياة (٢)

٢٣ – الكردينال مارتيني/ أ. مارون اللحّام : الله يكفيني

٢٤ – ترجمة المعهد الإكليريكيّ في بيت جالا : القراءة الربّانيّة

٢٥ – ترجمة المعهد الإكليريكيّ في بيت جالا : مقالات في الدعوة الكهنوتيّة والرهبانيّة

٢٦ – أديب مصلح : أبانا...

٢٧ – الأب سهيل قاشا : كيف أعترف...؟

٢٨ – م. سليم الصائغ : دردشات مع يسوع (١)

٢٩ – م. سليم الصائغ : دردشات مع يسوع (٢)

٣٠ – طوني هاشم : اللصُّ التائب

٣١ – إيلوا لوكليرك/ الأب جرجس المارديني : الفقير الحكيم

| | |
|---|---|
| ٣٢ – طوني هاشم : | قال نيتشه : «مات اللّه» قلتُ : «حقًّا ! إنّما قام» |
| ٣٣ – م. يوسف الكلاّس : | رُوحُكَ الصَّالح يَهديني |
| ٣٤ – الخوري أنطوان الدويهيّ : | علّمتني الحياة |
| ٣٥ – جان غيتّون وجان جاك أنتييه / أديب مصلح : | كتاب الحكمة ، والفضائل المستعادة |
| ٣٦ – م. تونينو بلّو / أديب مصلح : | العذراء في حياتنا |
| ٣٧ – جان سوليڤان / نسيب عون : | صبحيّات مسيرة روحيَّة |
| ٣٨ – م. بطرس المعلّم : | من وحي الساعة |
| ٣٩ – م. يوسف الكلاس : | أنا الراعي الصالح |
| ٤٠ – الخوري بولس الفغالي : | قراءات في إنجيل يوحنّا |
| ٤١ – الأب سايد قزحيّا : | السنة الليترجيّة البيزنطيّة |
| ٤٢ – طوني هاشم : | إلى الإله المجهول |
| ٤٣ – المطران بطرس المعلم | من وحي زيتون الجليل |
| ٤٤ – المطران سليم الصايغ | آفاق البتوليّة المكرّسة |
| ٤٥ – البابا بندكتوس السادس عشر | بولس الرسول |
| ٤٦ – غبطة البطريرك غريغوريس الثالث لحام | بولس الدمشقيّ |
| ٤٧ – أوليڤييه لوجاندر/حليم عبدالله | أقنعة الله |
| ٤٨ – الأب عادل تيودور خوري | الصوفانيّة رسالة إلى المسيحيّين في العالم |

| | |
|---|---|
| ٤٩ – أوليڤييه لوجاندر | رسالة إلى خليفتَي يوحنا بولس الثاني |
| ٥٠ – أندراوس رش | ميرنا أحداث الصوفانيّة |
| ٥١ – المطران يوسف الكلاّس | بنورك نعاين النور |
| ٥٢ – فيرجيل جورجيو/حليم عبدالله | مِنَ الساعة الخامسة والعشرين إلى الأبديّة |
| ٥٣ – المطران بطرس المعلّم | من وحي الأحداث |
| ٥٤ – الأب وفيق نصري | مارانا ثا |
| ٥٥ – حليم عبدالله | صرخة الله |
| ٥٦ – البابا بندكتوس السادس عشر | ربِّ، علِّمنا أن نصلّي |
| ٥٧ – حليم عبدالله | مجازفة الله |
| ٥٨ – الأب ريمون بكر | المرافقة الروحيّة |
| ٥٩ – آمال عبدالله | نساء الإنجيل |
| ٦٠ – طوني هاشم | الحيوانات إن صلّت |
| ٦١ – أديب مصلح | المسيحيّة في نظر رابندرانات طاغور وصلواتُ شاعرٍ |
| ٦٢ – الأب أندريه دينيُو/المطران يوسف الكلاّس | حين يصبح الضعف طريقًا إلى القداسة |
| ٦٣ – المطران كيرلّس سليم بسترس | تأمّلات في إنجيل ربّنا يسوع المسيح |
| ٦٤ – أديب مصلح | على درب الحياة مع ألكسي كاريل |

المطبعة البولسية
جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٩١٢٥٩٣ – ٠٣/٣٥٧٣٥٣
isppress@inco.com.lb